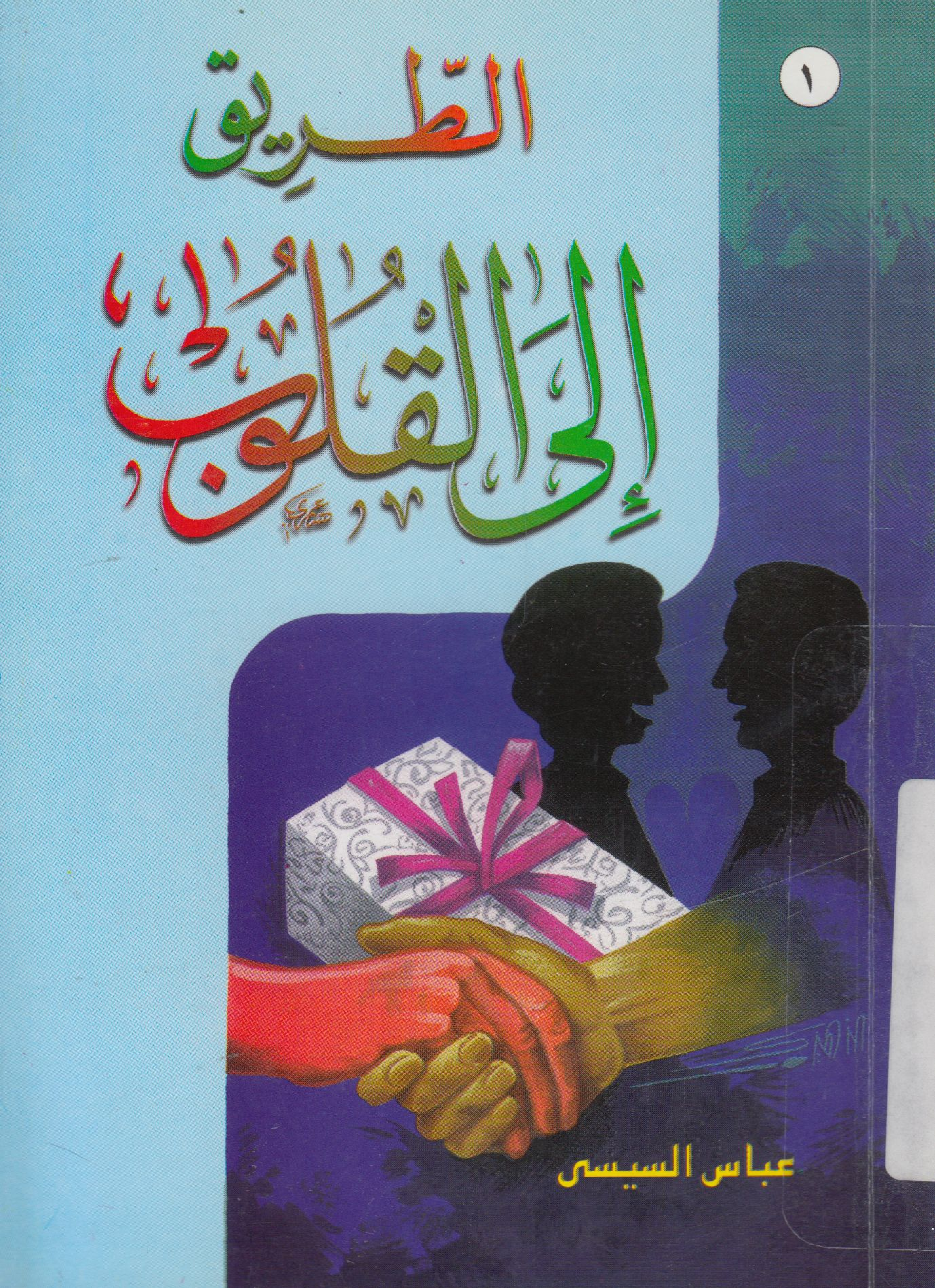

١
الطريق
إلى القلوب
عباس السيسي

الطريق إلى القلوب

الجزء الأول

عباس السيسى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار التوزيع والنشر الإسلامية

٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢ ص. ب ١٦٣٦

إهداء

إلى فقيد الدعوة الإسلامية :

المهندس محمد سليم مصطفى

الذى عرف الطريق إلى القلوب بأسلوب متفرد يختص الله تعالى به أولى العزم من الرجال. فطريقه إلى القلوب ليست الخطابة ولا الكتابة، بل ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا ﴾ فى صبر وصمود وتجمل وتجرد.

حكم عليه بالإعدام عام ١٩٥٤ فما فزع، وخفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، فما طمع فى حياة وما أخلد إلى الأرض. عشرون عاما كاملة قضاها فى سجون عبد الناصر فما وهن ولا استكان بل صبر وصابر فى سمت المؤمن ورسالة المجاهد؛ قدم دعوته إلى الناس جهاداً وثباتاً وتضحيةً حتى لقى ربه وهو ساع إليه يوم الخميس ١٢ من صفر ١٤٠٧ الموافق ١٦ أكتوبر ١٩٨٦ - رحمه الله وتقبله فى الصالحين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب بقلم :

د. الحبر يوسف نور الدائم

جامعة الخرطوم

الكتاب الذى أقدمه بين يديك - أخى القارئ - خطّه قلم شيخنا الكريم الحاج أبى معاذ عباس السيسى. ولقد آثر صاحبه ان يسمّيه «الطريق إلى القلوب».. ولأبى معاذ مع القلوب صولات وجولات. وهو من النوادر الذين يعرفون مداخل القلوب ومخارجها.. تلقاه لأول مرة فيأسرك بخلقه السمح، ووجهه الضحوك، وظله الوارف. لقيته لأول مرة منذ سنوات خلت، فما اكتحلت عيناى برؤيته حتى أحببته.. تحبه حين تلقاه، فإذا جالسته وأطلت مجالسته استقر حبه فى قلبك وتمكن منه تمكيناً لأنه يتكشف لك عن رجل صاغته التجربة وشغلته هموم دعوته عن نفسه وولده، فلا تكاد تلمس لنفسه حظاً ولا لولده نصيباً. لقد اتسعت عاطفته لتشمل شباب الدعوة جميعاً فهم ابناؤه وهو أبوهم، يبادلهم حبًّا بحب وإحساساً بإحساس.. تراه بينهم واحداً منهم، لايضنّ بتجربة، ولايكاثر بسابقة.. تواضع جمّ، وأدب

رفيع.. عاطفة متأججة وشعور دفّاق.. حس مرهف، وودّ منساب، وأنا لا أقول هذا الكلام من باب الإطراء الذى يقطع العنق، ولا من باب التمادح الذى هو الذبح، ولا من باب التزكية فإنّا لا نزكّى على الله أحداً.. ولكننى أودّ أن ألفت نظر الشباب خاصة إلى هذا الرعيل الأول الذى تربى على يد الإمام الشهيد حسن البنّا نضّر الله وجهه وبوّأه من الجنة منزلاً.. أريدهم أن يقفوا عند هذه المُثُل ليدركوا ما للتربية الربانية من أثر بالغ فى صياغة الرجال.. إنها تستخرج أطيب ما فى الرجال من خير.. إنها تنفى عنهم الخبث فإذا هم نفوس زاكية، وقلوب مصقولة.

لقد عرف هؤلاء الرجال الطريق إلى القلوب إذ بدأوا بأنفسهم فآثروها بالخير الربّانى الدفوق، ثم انطلقوا يبينّون للناس معالم الطريق قد عرفوه وكابدوه واقتحموا ما قد يعترضهم فيه من عقبات. ولقد كُتبتْ هذه الرسالة «الطريق إلى القلوب» بأسلوب سَلِس ميسّط شفاف، فلن تحول بينك وبينه معاضلة ولا مُماحكة، وإنما هو اليُسر المندفع، والرفق المنداح. تقرأه فلا تملّه ولا تسأمه وإنما أنت منه فى روض أنيق وريق ذى بهجة.. وهو فى أثناء ذلك كله لا يضنّ عليك بفائدة السنين، وثمرة التجارب، وإنى بتقديمه لسعيد.

أيها الإخوان..

لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين، وحقائق اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد، ولا زال فى الوقت متّسع، ولا زالت عناصر السلامة قوية عظيمة فى نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد. والضعيف لايظل ضعيفاً طول حياته، والقوى لاتدوم قوته أبد الآبدين. ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥].

إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام، وإن الفرص ستسنح للأعمال العظيمة، وإن العالم ينتظر دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام لتخلصه مما هو فيه من آلام، وإن الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب، ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤].

فاستعدّوا واعملوا اليوم فقد تعجزون غداً.

لقد خاطبت المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان، وإنى لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا، فليس مع الجهاد

راحة، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وإلى الأمام دائما .

والله أكبر ولله الحمد .

حسن البنا

مقدمة

هذه الرسالة البسيطة أكتبها للشباب المسلم المتحمّس لدعوة الناس إلى الحق والخير، تلبية لواجب ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٤].

ولما كان أكثر الشباب أمام هذه الرغبة الشريفة لايجدون حيلة ولايهتدون سبيلاً إلى القلوب، فكثيراً ما تضيع الفرص المواتية، ما لم يلتقطها الإنسان في وقتها بوعي وحكمة.

وأشهد أن المدخل أو البدايات على أية صورة مع كل جديد من الشباب وغيره له وسائل نفسية تختلف باختلاف عوامل السن والثقافة والعادات والتيارات الفكرية المعاصرة.

لهذا رأيت أن أضع بين يدى إخوانى وأخواتى بعضاً من تلك المفاتيح والمصابيح التى تضئ لهم الطريق وتفتح لهم القلوب.

ولما كان لكل جماعة أو هيئة أو حزب أساليب ووسائل لجذب

الجماهير تختلف باختلاف مبادئ وأخلاق وأهداف كلٌ منها، فقد صار لزاماً على الدعاة إلى الإسلام من الشُبان والشابات أن تكون أساليبهم ووسائلهم مستوحاة من روح الإسلام ونابعة خلقاً وسلوكاً من العقيدة الإسلامية، حيث لا انفصال بين العقيدة والسلوك.

ولسوف نجد في حياة الرسول ﷺ صوراً ومشاهد ووسائل دعوية سهلة ميسّرة، تغطي كل جوانب الحياة حركة وفكراً وسلوكاً، وتفتح آفاقاً لا حدود لها لكل راغب في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ومخالطة الناس والصبر على أذاهم.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٣، ٣٤].

عباس السيسي

أخى المسلم:

الإنسان فى كل مجتمع هو وحدته الأساسية وهو الوسيلة فى تحريك وتكوين الوحدات الأخرى إلى الغاية التى ينشدها، وفى حدود المنهج والخطة التى يرسمها. لهذا كانت دعائم حركتنا الإسلامية: الفرد، الأسرة، والمجتمع، أصلح نفسك أولاً ثم ادع غيرك ثانياً، لأنه إذا وُجِد المؤمن الصحيح وُجِدت معه أسباب النجاح جميعاً فإن أعظم خصائص هذا الدين وأكبر مميزاته هى تكوين شخصية المسلم.

ولو أن غيرنا من هؤلاء الذين يصدّون عن سبيل الله أمة من البشر، واستطعنا بالتى هى أحسن أن نخلع منهم كل يوم لبنة فى صبر وحكمة كى تضاف إلى رصيد الدعوة الإسلامية، فإننا بذلك ننقلهم من البحر الميت إلى المحيط الهادى.

أليس ذلك هو هدف الدعوة؟ أليس بذل الجهد فى كسب الأنصار بهذا التخطيط هو عين الحكمة بل عين الجهاد الجاد المفيد، حيث إن مهمتنا هى تغيير الرأى العام نحو الإسلام، فإذا صلح الفرد بالتربية والتكوين صلحت الأمة وقام الدين.

ولقد كان الأخ منّا يتعهد بتقديم أخ جديد فى العام الواحد بما يسمى مشروع الأخ الواحد.

ولا يحتجّ أحد بطول الزمن فى هذا الطريق، فالزمن جزء من العلاج والبناء، واليوم في حياة الفرد كالعام فى حياة الأمة، والأمة التى تصمم على الحياة لايمكن أن تموت.

وعلى قدر إيمان الأخ بقدسية رسالته وأهمية وثقل مهمته بقدر ما يعطي ويبذل من ماله وجهده ووقته، والعبرة عند البناء هى الأسوة الصالحة وتقديم الإسلام في صورته النقية الصافية بشموله وعمومه، بالإيمان العميق والفهم الدقيق والحب الوثيق والبعد عن مواطن الخلاف، ثم التسامح لتضميد الجراح.

والعبرة فى طريقنا إلى القلوب هى التدرج:

١ - ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

٢ - ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

٣ - ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

فقد صنع الرسول من الجاهلين جيش الهداة.

وفتح الرسول بالمهتدين دول الطغاة.

وسن الرسول فى هذا السبيل دستور الدعاة.

مهمتنا

يضرب الإمام حسن البنّا لمهمة المسلم فى هذه الحياة مثلاً فيقول: في كل مدينة توجد «محطة لتوليد الكهرباء» يقيمها ويشرف عليها مهندسون متخصصون، ثم تقوم مجموعة من العمال المَهَرة بتركيب الشبكة الكهربائية فى أنحاء المدينة، فيقيمون الأعمدة ويمدّون عليها الأسلاك. ثم يصل منها التيار إلى المصانع والمنازل وغيرها. فإذا عزلنا التيار من محطة توليد الكهرباء، فإن المدينة تنام فى الظلام مع أن الطاقة الكهربية كامنة فى المحطة ولكن لايستفاد منها.

كذلك فإن الله تعالى أنزل إلينا القرآن الكريم، وهو أعظم طاقة فى الوجود ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فالقرآن الكريم هو بمثابة «محطة توليد الطاقة للمسلمين» ولكن هذه الطاقة معطلة ومعزولة عن حياة المسلمين فى كل شؤون الحياة.

وأصبح القرآن الكريم مهجوراً على مستوى العالم الإسلامى ومقطوع الصلة بالمجتمع، فاظلمت القلوب وفسدت الحياة.

لهذا كانت مهمتنا نحن الدعاة إلى الله كمهمة العمال فى المحطة الكهربائية، نقوم بتوصيل التيار من المنبع الأصيل – وهو القرآن الكريم – إلى قلب كل مسلم حتى يشتعل ويضئ.

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٢].

فلا تنس وأنت فى طريقك إلى القلوب أنك داعية أى (عامل) ولست عالما أو فقيها إلا فيما تعلمت أو علمت، واذكر أنك حين تقدم دعوتك إلى الناس أنك تقدم لهم هدية، فانظر كيف تكون الهدية وكيف تقدمها لمن تحب.

مشكلة الداعية

المشكلة فيمن يتعرض لدعوة الآخرين تعود إليه أولاً، حيث أن فاقد الشيء لايعطيه، ومن لا يملك المفتاح يستعصى عليه الدخول، والإنسان المغلق الذى يستعصى على الدعاة مثله كمثل الخزانة الكبيرة المصنوعة من الحديد، يمكن أن تفتح بمفتاح صغير فى حجم أنملة الإصبع. فالمشكلة أساساً تعود إلى نفس الداعية وإمكانياته الذاتية والروحية وقدرته على التخطيط والصبر، وإذا علمنا أن الشيطان يخطط لأوليائه وأتباعه فى خطوات وعلى مراحل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة:١٦٨]، فمن باب الخير أن يخطط الداعية المسلم للوصول إلى القلوب، وشتّان بين عمل الشيطان وعمل الإيمان ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤].

فعلى الأخ الداعية الرشيد أن ينتبه للمعانى الخيّرة فى الإنسان الذى يعايشه، فيقوم بتزكيتها وتنميتها حتى تتغلب على مجالات الضعف فيه، وبذلك يستيقظ قلبه ويقف على أول الطريق.

والداعية للإسلام مهمته كمهمة المدرّس والطبيب الذى يصف

من الدواء ما يناسب العلاج، فليس لكل المرضى علاج واحد، كما أن الأمراض ليست واحدة. والمدرّس والطبيب هما أنجح الدعاة لو أخلصا فى العمل لله. ولهذا اعتمد المبشرون فى غزو العالم الإسلامى على الجامعات والمستشفيات والإعانات، ورسالة المدرّس أن يعيش فى قلب الطالب وعقله ويتدرج به حتى يصوغه نحو الهدف والغاية، ورسالة الطبيب أن يمسح الألم بالكلمة المؤمنة الهادية مع الدواء.

تُرى كيف يستطيع الداعية أن يصل إلى قلب أى إنسان ليأخذ بيده إلى منابع الخير والنور.. دون إشعاره بالرحمة؟

وللداعية الصادق تأثير أبعد من الكتابة والخطابة. نعم، هل رأيت تلك الآلة الصغيرة التى تمسك بها على بعد من التليفزيون فتقوم بتشغيله دون أن يكون بينها وبين التليفزيون أسلاك، فهل من الصعب على الأخ الداعية المشحون بالحق والعاطفة والنور، أن يرسل من قلبه المشتعل إشارة موجبة ثائرة إلى قلب هذا الإنسان الذى يحبه فيستجيب؟.

ثم إذا كانت العين الحاسدة تضرّ الإنسان، ألا يكون للعين المؤمنة الحانية المشفقة، ما ينفع ويجمع ويغرس الحب والإيمان.

ومن هنا ندرك قيمة الحواس التى ميّز الله بها الإنسان، فالحواس هى حقيقة الإنسان، والجسم لها سكن وبنيان. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالإنسان الذى لم يكتشف نعمة الحواس ولم يستشعر وجودها هو إنسان غافل عن أعظم مصادر الحياة ومنابع النور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] ويكون بفقدان هذه الحواس حيًّا ميّتًا، موجوداً مفقوداً لا أثر له، وبداهة لايستطيع أن يؤثر فى غيره، لأن أجهزة الإرسال والاستقبال معطلة فى كيانه، كإنسان ينام على كنز من الذهب وهو لايدرى، لأن حواسه معزولة عن عوامل اليقظة والانتباه، وهى فى حاجة إلى هزّة روحية فى أعماق النفس

توقظها من سُبات وتحركها من مَوات ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

ومثل هؤلاء فى التعبير القرآنى ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة:٧].

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء: ٤٦] فالإنسان بلا حواس يقظة ومشاعر حيّة وعواطف ندية هو إنسان يعيش فى المجهول، لا تراه ولا تحسه ولا تفتقده.

وهؤلاء أموات فى حياتهم، غافلون عن سرّ وجودهم والغاية من خلق الله تعالى لهم ولايقدرون الأمانة التى أُلقيت على عاتقهم.

إن الداعية المسلم «قلب» ولا يستجاب لمن لا قلب له ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقلب المؤمن مصدر توجيه واستشعار ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١].

والأحاسيس والمشاعر والعواطف ونبضات القلوب هى «اللغة» العالمية التى يتخاطب بها الداعية مع كل البشر على وجه الأرض حتى الإنسان «الأبكم» الذى لاينطق ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾

[آل عمران : ١٥٩] .

وهذه (اللغة) هى العملة الثابتة والعملة الذهبية التى يتعامل بها العالم أجمع، وهكذا وبهذه اللغة فتح المسلمون الأوائل مشارق الأرض ومغاربها، فكانوا مشاعل نور، ومصابيح هدى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق :٣٧] فالذى لايتذكر ولايتأثر ولا يتذوق القبح والجمال لا قلب له .

الناس أصناف ثلاثة

١ – إنسان صاحب أخلاق إسلامية.

٢ – إنسان صاحب أخلاق أساسية.

٣ – إنسان صاحب أخلاق جاهلية.

أما صاحب الأخلاق الإسلامية..

فهو الذى يؤدى العبادات ويغشى المساجد، وهذا هو أقرب الناس لدعوتنا، وهو لايحتاج إلى كبير عناء، والوصول إليه سهل ميسور لمن يسّره الله له، وهو يأتى فى المقام الأول من الاهتمام.

أما صاحب الأخلاق الأساسية..

فهو شخص غير ملتزم، ولكنه لايجاهر بمعصية. إنسان اجتماعى فيه رجولة وعنده شجاعة ومروءة. ويأتى فى المرحلة الثانية من الاهتمام.

أما صاحب الأخلاق الجاهلية..

فهو شخص دون هؤلاء وأولئك، لايرعى فى أحد إلاً ولا ذمة،

يتحاشاه الناس لسوء أخلاقه ومعاملاته، قال رسول الله ﷺ: «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه» رواه البخارى ومسلم. ومثله كمثل الذى قال فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «بئس أخو العشيرة» رواه مسلم.

ويأتى فى المرحلة الأخيرة من الاهتمام.

وأضرب لذلك مثلاً..

إنسان يقف تحت شجرة تفاح مثمرة، قطوفها دانية، فهو يقتطف الثمرة القريبة التى هى فى متناول يده، حتى إذا بلغ مداه تطلع إلى ما علاه، وهو الصنف الثانى.. حتى إذا انكشفت الشجرة ولم يبق سوى الصنف الثالث – وهو أعلى ما فيها– أصبح معزولاً، فإما أن يقتدي فيهتدى، أو ينزوى حتى حين.

وليس من الضرورى أن يبقى هذا الترتيب أساس تعامل الداعية مع الناس، فقد تأتى ظروف من عند الله تعالى تتغير فيها هذه المقاييس كما حدث مع عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين..

فأحياناً يذهب الإنسان إلى شاطئ البحر ومعه سنارة ليصطاد، وفى ظنه أن السنارة لاتصطاد إلا السمك الصغير، فيُفاجأ أنها قد

اصطادت سمكة كبيرة.

ذهب بعض الشباب من حىّ بولاق بالقاهرة للبحث عن قطعة أرض فضاء ليقيموا عليها سرادقاً للاحتفال بذكرى مولد الرسول ﷺ يحضره الإمام حسن البنّا، فسألوا صاحب مقهى بجواره قطعة أرض فضاء، فلما عرف الغرض أبدى استعداداً طيباً وترحيباً، فلما عادوا شرحوا للأستاذ البنّا ما حدث من الرجل، فكان هذا الرجل هو المرحوم المعلم إبراهيم كرّوم، بطل و(فتوة) حى بولاق فى القاهرة، وهو من الرجال المرهوبين لدى الدولة والأهالى.

وعندما توجه الأستاذ البنّا ليخطب فى هذا الحفل بدأ بزيارة المعلم إبراهيم كرّوم شاكراً له موقفه الكريم.

وحين بدأ الأستاذ البنّا يخطب لم ينس أن يكرر الثناء على موقفه الطيب أمام الجماهير المحتشدة، ومنذ هذا الحفل والمعلم إبراهيم كرّوم لا ينقطع عن المركز العام للإخوان المسلمون فى صحبة الإمام البنّا والإخوان. حتى كان على صهوة جواده يقود مظاهرة مارس الكبرى عام ١٩٥٤ فى مواجهة جمال عبد الناصر لعودة الرئيس محمد نجيب والإفراج عن الإخوان المسلمون المعتقلين، كما اعتقل وحكم عليه بالسجن مع الإخوان رحمه الله تعالى.

يرى الأخ الداعية بعض الشباب متلازمين متحابين، فتهفو نفسه للتعرّف عليهم وجذبهم للدعوة.

والطريق إلى مثل هؤلاء لابدّ له من خطة، فالمعروف أن لكل ثُلّة (شلة) من هذا الشباب مَنْ يتلفّون حوله حبّاً له وتقديراً لشخصه.. فإذا أمكن للداعية الوصول إليه ولو بعد حين فمن المأمول أن يأتى الله بهم جميعاً. أما إذا تعذّر ذلك فالواجب على الداعية أن لاييأس، وعليه أن يستدل على أقرب هؤلاء فكراً وأيسرهم استجابة، ويحاول التعامل معه بنفس طويل مع التودّد للآخرين بلطف وعدم التعرّض لشؤونهم إلا بخير فلا يصلهم منه ما يغلق الباب دونه، حتى إذا شاء الله تعالى له الاستجابة.. كان عوناً لك على الآخرين واحداً بعد الآخر، حتى يتم الله نعمته.

وأنصحك أن توغل فيهم برفق وليكن فى تقديرك دائما أنه ليس من المأمول أن يستجيب هؤلاء جميعاً لدعوتك، فإذا تحقق ذلك فإنه من فضل الله تعالى ومنّته. فالله تعالى هو صاحب الأمر من قبل ومن بعد، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦] إشارة إلى أن هذا الذى تحبه من كل قلبك ليس لك على قلبه سلطان.

وأضرب لأخى مثلاً فى هذا الشأن . .

الرجل الخبّاز الذى يقف أمام الفرن، إنه يأتى بعدّة أرغفة من الخبز ويُدخلها فى أعماق الفرن، وينتظر بعض الوقت، ثم يُخرج الأرغفة التى تنضج ويقرب بعضها من النار ويقلب البعض الآخر، وكلما نضج رغيفٌ أخرجه، وقد يسقط رغيفٌ فى النار فيحترق .

وهذا شأن الداعية الذى يعمل فى المجتمع . إنه يأخذ ويعطى، يقترب حيناً ويبتعد حيناً .

يعطى لكل إنسان كما يعطى الطبيب الدواء . فهو يصبر ويصابر . . فمن هؤلاء بعد فترة من الزمن من ترى إشراقة الإيمان فى وجهه - فهذا قد نضج - ومنهم من يأتيك على خوف، وآخر يأتيك على استحياء، ومنهم من يثاقل ومنهم من يبتعد، ومنهم من يسىء . وما عليك مع كلٍّ منهم إلا أن تواصل حتى تنضج الثمرة مع الرجاء والدعاء أن يشرح الله صدر من ابتعد وغاب .

أما الداعية الذى يستهلك وقته وجهده مع شخص واحد أو إنسان بعينه رغبة فى جذبه للدعوة، فيقابله كثيراً، ويلحّ عليه طويلاً، ويشغل نفسه به دوماً . . عليه أن يراجع نفسه، لأن اى إنسان مهما كان له شخصيته المستقلة، فمحاولة الضغط عليه ومحاصرته

أمر يثير الشكوك والظنون وقد ينفره وتكون النتيجة عكسية إلا من رحم ربك.

والقاعدة في هذا السبيل: خذ ما تيسر ودع ما تعسر لما قد يتيسر.

حفظ الأسماء

حفظ الأسماء عامل هام ومؤثر، وبدونه لايحدث التحام ولا تتولد ثقة بين الأفراد. فهو أول خطوة وأول خيط يربط بين القلوب. إنّه الخيط الذى يجمع بين حبّات العقد، وبه يمكن ربطها إذا انفصلت أو تفرقت. وكل إنسان يحب أن ينادى باسمه بل بأحبّ الأسماء إليه. ولمّا كان لحفظ الأسماء شأن كبير، كان لزاما أن أتعرض هنا إلى الطريقة التى تساعد على ذلك:

أولاً: لابدّ أن يكون عند الأخ رغبة وحرص على حفظ الأسماء.

ثانياً: عندما يبدأ التعارف يكون يقظاً يفتح قلبه وعقله لاستقبال الاسم - جميعه أو بعضه - ثم يتابعه فى الذاكرة حتى يثبت ويبدأ فى الحال باستعمال الاسم مع محدثه.

ثالثاً: الاسم يتكون من ثلاثة مقاطع، اسم الشخص واسم والده ولقب العائلة والاسم القريب إلى قلب محدّثك هو اسمه الشخصى أو كنيته، فإذا أضفت إليه لقب العائلة يكون أحرى وأحسن، وكثيراً ما يكون لقب العائلة فيه غرابة، وبهذا

يسهل حفظه مثل (السيسى) . . أما الأسماء العادية مثل (محمد، وعلى، وحسن، وسعد . .) فإنها تحتاج إلى تركيز.

رابعاً : عندما تتعرف إلى اسم جديد فالواجب أن تقرنه بما تعرف من أسماء أشخاص سابقين حتى يسهل عليك حفظه .

خامساً : عند التعارف من الضرورى أن تركز على صورة وهيئة من تتعرف عليه، هل له لحية، هل يلبس نظارة، لونه، صوته، قامته، ثم وظيفته، والمناسبة التى تم فيها اللقاء .

سادساً : وحتى يمكن تثبيت الأسماء فى الذاكرة، فلا بأس بأن تكتب اسم مَن تعرفه ثم تحاول دائماً أن تناديه باسمه إذا لقيته، وأنْ تراسله إذا كان فى سفر، ولذلك أثر كبير فى تدعيم الصلة وتقويتها، فضلاً عن أن الرسالة وسيلة تربية وتكوين .

سابعاً : أن تتذكر حين تلقاه بعد ذلك كل ما سبق، ثم المناسبة والمكان الذى لقيته به أول مرة، وهذا يساعدك على سرعة مناداته باسمه .

ثامناً : إن التعرّف أو التعارف مع أى إنسان سوف يفتح لك مجالات جديدة للتعرّف على أصدقائه وأقاربه، وهكذا

تتوالى الأسماء حتى تتكون عندك حصيلة تتسع بها دائرة معارفك، وليس بعد ذلك من أهمية فى حفظ الأسماء سوى متابعتها بالسؤال عنها ورعايتها والقيام بواجبها وعدم التفريط فى حقوقها. عن رسول الله ﷺ: «من الجفاء أن يدخل الرجل منزل أخيه فيقدم إليه شيئاً فلا يأكله، والرجل يصحب الرجل فى الطريق فلا يسأله عن اسمه واسم أبيه..» رواه الديلمى.

مدخل للتعارف

١ - ذات يوم من أيام عام ١٩٥١ كنت فى دار شعبة الإخوان المسلمون بشارع الإسكندرانى بإسكندرية، إذ جاء إلى الدار شخصان كانا على موعد مع أحد الإخوة، فاستقبلتهما كُلاً باسمه. حتى إذا جاء الأخ الذى ينتظرانه قالا له: إن هذا الأخ لانعرفه من قبل فكيف تعرّف على أسمائنا؟ فدعانى وجلست معهم وقلت: ألستما تركبان الترام كل يوم الساعة السابعة صباحاً من محطة ترام شارع الرصافة؟ قالا: نعم. قلت وأنا كذلك أركب فى نفس الوقت ومن نفس المحطة. قالا: ولكنّا لم نشاهدك معنا! قلت: لأننى أرتدى بذلة عسكرية. فتنبها لذلك وابتسما ثم قالا: وكيف عرفت أسماءنا؟ قلت: كنت أسمع أحدكما يقول للآخر: صباح الخير يامحمد، ويردّ عليه صاحبه: صباح الخير يا أحمد.

قالا: وماذا يهمك من حفظ أسمائنا؟

قلت: هو الذى حدث اليوم معكما.

فطبعية دعوتنا هى التعارف، واعتقادى أن دعوتنا يوماً ما سوف تجمع النفوس الطيبة. وكان لهذا الموقف أثره الكبير فى نفسيهما.

٢ - ولقد كان الإمام حسن البنّا أكثر الدعاة اهتماماً بحفظ الأسماء، فحين صدر قرار من الحاكم العسكرى بنقله إلى مدينة قنا في صعيد مصر عام ١٩٤١، وفى إحدى الحفلات التى تتقدمها مجموعة من شباب الكشافة لاستقباله لأول مرة يرونه فيها، كان يسلّم على بعضهم ويذكر اسمه. فلما سئل فى ذلك قال: إننى حين كنت أوقّع بإمضائى على كارنيه (بطاقة) كل اخ ينتسب إلى فريق الكشافة كنت أحفظ صورته وأحفظ اسمه.

٣ - وفى دار شعبة شارع الرصافة أيضاً زارنا عام ١٩٥١ أحد الضيوف، فلما رحّبت به وسألته عن اسمه قال: محمد شاكر غرباوى، فقلت له: من الإسماعيلية؟ قال: نعم، ومن عرفك ببلدى؟ فقلت له: انتظر. وأخرجت من دُرج المكتب كرّاسة مذكرات وبها أنه فى عام ١٩٣٦ جاء إلى رشيد موفدا من الأستاذ حسن البنّا شاب اسمه (محمد شاكر غرباوى) ليقوم بجمع تبرعات للمجاهدين الفلسطينيين... ولما لم يستطع أن

يجمع قيمة كل الطوابع التى جاء بها.. بكى. وهنا انفجر صاحبى بالبكاء من جديد وقال: والله ما كنت أتصور أن يكون لى هذا الذكر بعدما فرّقت بيننا الأيام.

٤ - كنت أركب حافلة أتوبيس، وصعد شاب ملتح لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، وجلس بجوارى، وكانت اللحية فى ذلك الوقت مستغربة ونادرة. وتحركت نحوه بعاطفة أريد أن أتعرف عليه قبل أن يغادر الأتوبيس فتضيع الفرصة. فاتجهت نحوه بكل وجهى فى ابتسامة خفيفة وقلت له: هل الأخ الكريم أطلق لحيته عادة أم عبادة؟ فلم يفهم فأعدتُ عليه: سنّة أم غير ذلك؟ قال: نعم إنها سنّة عن رسول الله ﷺ، فقلت: ما شاء الله، الله أكبر. وأسرعت فقلت له: أخوك فى الله ... من رشيد وأعمل فى التجارة. فقال لى: أخوك فى الله... طالب فى العباسية الثانوية، فحفظت اسمه وعنوانه فى الحال.

وقد تعمدت أن أبدأه باسمى.. لأنى لو طلبت منه ذلك أولاً فربما تتنازعه الظنون ولاسيما فى تلك الظروف... وبعد عدة محطات غادرنى مسلماً بشعور طيب وأصبح من السهولة بعد ذلك أن أتصل به فى أية مناسبة إسلامية.

٥ - فى أية رحلة سفر يكون معى (مصحف) أو (جريدة) أو (مجلة) . . ومن عادة أىّ جالس بجوارك انه حين تقرأ أية جريدة فإنه يختلس النظر إليها . . وفى هذه الحالة يمكن أن تقدمها إليه، وبعد أن يقرأها سوف يعيدها إليك مع الشكر، وفى هذه الحالة يمكن أن تفتح معه أىّ موضوع جاء فى الجريدة وتعلّق عليه وتتسع دائرة الحديث حتى يتم التعارف .

وليس من الضرورى أن يتم التعارف بالاسم إذا تعذّر ذلك، ولكن من الأهمية أن يكون الحديث حول جانب من جوانب الدعوة الإسلامية، فإن من مهمتنا نشر الوعى الإسلامى بين الجماهير. ولعلّ فرصة أخرى تجمع بينكما فيكون التعارف على عاطفة وشوق .

٦ - أحياناً، فى أى مكان وفى أية مناسبة يجلس بجوارى شخص لا أعرفه وأفكر كيف أبدأ معه الحديث، فإذا كانت بشرة هذا الإنسان بيضاء ناصعة البياض فإنى أتوجه إليه بسؤال فيه سذاجَة فأقول له : الأخ الكريم سودانى؟ فينظر إلىّ فى دهشة واستغراب، وكأنه يريد أن يقول لى : هل أنت أعمى؟! ولكنى أسرع فأقول : لاتؤاخذنى فإنى أعرف بعض السودانيين البيض، وأقول له : طيب أنت من أى بلد؟! وندخل فى الموضوع بعد أن أكون قد حطمت حاجز الصمت . وإذا كان هذا الشخص أسمر

اللون، أقول له: الأخ الفاضل من قبرص وهكذا كى أفتح باباً للدخول معه فى حديث.

٧ - دعيت لحضور جلسة وإلقاء حديث فى شعبة المتراس وهى إحدى ضواحى مدينة الإسكندرية، والشعبة تقع بعيداً عن الشارع الرئيسى حوالى كيلو متر، فلما نزلت من الأتوبيس إلى الشارع نزل معى بعض الشباب، ورغم أنى أعرف مكان الشعبة إلا أننى طلبت منهم أن يدلّونى على مكانها. وفى الطريق تحدّثنا عن الدعوة بطبيعة أنى ذاهب إلى شعبة الإخوان المسلمون، ولما وصلت إلى مقر الشعبة حضر اللقاء بعضهم ملازمة لى، ولم أغادر الشعبة حتى تم التعارف والألفة.

٨ - كنا فى سفر من الأسكندرية إلى مدينة أسيوط عاصمة صعيد مصر، ولما كان السفر طويلاً فقد أحضرنا معنا عدداً من السندوتشات. وشاء الله تعالى أن يتعطل القطار فى الطريق أكثر من ساعتين، فقام أحد الإخوة يقدم بعض المأكولات للمسافرين من باب «ومن كان له فضل زاد فليعد به على مَن لا زاد له» (رواه مسلم)... وبهذا فتحنا باباً للتعارف ولم نغادر القطار حتى تركنا أثراً طيباً فى النفوس.

كنت قبل أن أكتشف الوسائل الإسلامية فى الدعوة إلى الله تعالى أجتهد فى ابتكار وسائل توصل إلى ذلك، ومما أذكره أننى ذات مرة قمت بالضغط على قدم أحد الواقفين بجوارى فى الترام، فصاح فى وجهى قائلاً: (أنت أعمى) .. فقلت له فى غير انفعال: لاتؤاخذنى يا أخى، فأنا فعلاً شبه أعمى لأن بصرى ضعيف، فانقلب الرجل معتذراً ومواسياً عما بدر منه فالتقطت الموقف ودخلت معه فى التعارف.

الرسول ﷺ يعلمنا الدعوة الفردية

لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب. فخرج رسول الله ﷺ إلى (الطائف) يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عز وجل.

وحين وصل رسول الله ﷺ إلى الطائف.. توجه إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم.. وهم إخوة ثلاثة: عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ومسعود وحبيب فجلس إليهم رسول الله فدعاهم إلى الله وكلّمهم بما جاءهم من نصرته على الإسلام والقيام معه على مَن خالفه من قومه. فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجاوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه.

ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل شجرة عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف، فلما رأيا ما لقى، تحركت له رحمهما فدعوا

غلاماً لهما نصرانياً يقال له «عداس» فقالا له :

خذ قطفاً (عنقوداً) من العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم أقبل بالعنب حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ ثم قال له : كل.

فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال : «بسم الله ..» ثم أكل.

فنظر عداس فى وجهه ثم قال :

والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد!

فقال رسول الله ﷺ :

«ومن أهل أىّ البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك»؟.

قال عداس : نصرانى، وأنا رجل من أهل نينوى.

فقال رسول الله ﷺ :

«من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى»؟

فقال عداس : وما يُدريك ما يونس بن متّى؟.

فقال رسول الله ﷺ :

«ذاك أخى كان نبياً وأنا نبى».

فـأكـبّ عـداس عـلى رسـول الله ﷺ فـقـبّـل رأسـه ويـديـه وقدميه.

يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس!! ما لَكَ تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: يا سيدى ما فى الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرنى بأمر لايعلمه إلا نبى. قالا له: ويحك يا عداس!! لايصرفنّك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

أخـــى:

هذه هى القصة، وهذا هو المشهد.

فتعال بنا نتبصر كيف دخل رسول الله ﷺ إلى قلب عداس وكيف تسلسل معه حتى النهاية؟

حين جاء عداس بطبق العنب ووضعه بين يدى رسول الله ﷺ وقال له عداس: كُلّ. هنا بدأ رسول الله ﷺ أول خطوة وأول إشارة، فقال وهو يضع يده فى الطبق:

بسم الله.. ثم أكل.

فلو لم يقل رسول الله ﷺ بسم الله، وأكل بدون أن يذكر الله تعالى.. لما ترتب على هذا اللقاء أية فاعلية.

وهذا ينبهنا إلى ضرورة التميّز والتعامل بالسنّة والأخلاق الإسلامية التى هى الإعلان عن عقيدتنا وهويتنا خاصة فى بلاد غير المسلمين. حينها يتعارف المهاجرون المسلمون بعضهم مع بعض بالأخلاق والسلوك الإسلامى.

ثم جاءت الخطوة الثانية بطبيعة سياق الحديث: فنظر عداس فى وجهه ثم قال:

والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد!

فقال رسول الله ﷺ: ومن أهل أىّ البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟

رسول الله ﷺ ينادى عداساً باسمه، والمناداة بالاسم لها تأثيرها البالغ فى تقريب القلوب، ثم يسأله من أىّ البلاد هو، ثم يسأله عن دينه؟ وهو حديث يمشى مع تسلسل وسياق التعارف بصورة طبيعية دون تكلّف، تماماً كما يحدث حين يتعارف بعضنا مع بعض.

قال عداس:

نصراني وأنا رجل من أهل نينوى.

فقال رسول الله ﷺ:

« من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ».

الرسول ﷺ يسأل عدّاساً أأنت من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى؟ فيزكّى الرجل بكلمة « الصالح » وتلك لفتة نبوية كريمة تهزّ كيان عداس وتشرح صدره وتقربه من محدّثه.. ثم كانت مفاجأة لعداس حين سمع عن يونس بن متى.. كما أدرك أن رسول الله ﷺ يعرف (نينوى) وهى بلد تقع على نهر دجلة بالعراق. كل هذا أحدث هزّة ودهشة عند عداس.

فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال رسول الله ﷺ:

« ذاك أخى كان نبيّاً وأنا نبى ».

هنا وقفه جاذبة مؤثرة. حين قال رسولنا ﷺ: ذاك أخى كان نبيّاً وأنا نبى، كلمة أخى هذه سريعة الجذب توفر كثيراً من الجهد وتعطى كثيراً من الثقة، فكثيراً ما يسأل الإنسان عن شخص فيقول:

هذا أخى . . فتقرب المسافات بين القلوب والثقة فى التعامل . وسياق كلام رسول الله ﷺ فيه تواضع جمّ، فقد قدّم الرسول عليه الصلاة والسلام يونس بن متى على نفسه وهو أسلوب تربوى رائع .

فكثير منّا يتحدث عن رجل له شأن يقول : كان معى فى المدرسة، أو كان معى فى الكلية . والأفضل أن يقول : (كنت معه فى المدرسة أو كنت معه فى الكلية) .

وبعد . . أخى هذا هو واقع القصة التى حدثت بين رسول الله ﷺ وبين عداس، بسيطة وهادئة لاتستعصى على أىّ داعية إذا سلك هذا الأسلوب النبوى الكريم . . تلك الرحلة التى أوذى فيها رسول الله ﷺ ثم خرج من هذه المحنة (بقلب واحد) .

ونسوق بعد هذا المشهد بعض المواقف تثبيتا وتدريباً :

١ ــ جاء قوم من قبيلة من القبائل يقول أحدهم : فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لانعرفه ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ . فقال : هل تعرفانه؟ فقلنا : لا ، قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قلنا نعم . (قال : وقد كنا نعرف العباس كان لايزال يقدم علينا تاجراً) قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس،

قال: فدخلنا المسجد، فإذا العباس رضى الله عنه جالس ورسول الله ﷺ جالس معه. فسلمنا، ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس:

هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: «الشاعر» قال: نعم!! وهكذا كانت معرفة الرسول السابقة به تعزيزاً وتكريماً له. وكانت إشارة الرسول هادفة مؤثرة.

٢ - كنت أجلس يوماً فى دار المركز العام للإخوان المسلمون بالقاهرة، وكان الأستاذ حسن البنّا يتحدث مع أحد الأخوة الشباب القادمين من سوريا عن دمشق وعن حمص وعن حماة وغيرها وقد تناول كثيراً من شخصيات سوريا بالثناء.

فسأله الشاب متعجباً: وهل فضيلتكم زرت سوريا؟

فقال الأستاذ المرشد رحمه الله: فى النية زيارتها إن شاء الله تعالى.

وقد حقّق الله له أمنيته، فذهب إلى سوريا عام ١٩٤٨ ليكون فى استقبال كتيبة الإخوان المسلمون القادمة من مصر إلى سوريا لتنضم إلى كتيبة الإخوان السوريين فى معسكر قطنا للتدريب ثم خوض

المعركة ضد اليهود في فلسطين.. وكان في استقبال الأستاذ البنّا أعداد غفيرة من الشعب السوري الأبيّ.

٣ - حين ذهبت إلى مدينة غزة عام ١٩٤٨ ضمن قوات الجيش المصري في حرب فلسطين قمت بزيارة لشعبة الإخوان المسلمون في غزة باسم «جمعية التوحيد» وقد قرأت في دفتر زيارات الشعبة كلمة للأستاذ المرشد الذي سافر من مصر على رأس الكتيبة الأولى للتصدّي لليهود حال انسحاب الجيش الإنجليزي في مايو ١٩٤٨.

قال في كلمته: (لقد زرت اليوم شعبة الإخوان المسلمون في غزة هاشم...) ووقفت عند قوله: غزة هاشم، فللمرة الأولى أعرف أن هاشماً جد رسول الله ﷺ له قبر في غزة.

٤ - ذهبت مع بعض الإخوة لزيارة مريض في مستشفى بمدينة في ألمانيا، وبينما كنّا نسير في الصالة إذ بطبيب شاب تبدو عليه ملامح الألمان يلقي علينا (السلام عليكم) فاندهشنا لذلك. ثم لحق به أحدنا وتعرّف عليه. فقال إنه مسلم عربي. وهكذا لولا انه بدأنا بالسلام ما عرفنا أنه مسلم وما استطعنا أن نجد من يساعد على الخدمة بالمستشفى لنا ولغيرنا.

٥ - فى ألمانيا ركبت مع أحد الإخوة الترام السريع وجلسنا إلى جوار جندى أمريكى أسمر. فلما سمعنا نتحدث معا باللغة العربية، قال: (مسلم)؟! قلنا: نعم مسلمون والحمد لله، فصاح بصوت مرتفع: أنا مسلم أنا مسلم أنا محمد!! وأسرع إلى حقيبته وقدم لكلٍّ منّا علبة سجائر، ولكننا اعتذرنا وشكرناه.. فنهض وصافحنا بحرارة وشوق شديد وقال بالعربية الثقيلة: إن رسول الله ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»**. لفتت حركته هذه الألمان الموجودين حولنا. وحين جاءت محطة نزوله من الترام قام وصافحنا مرة أخرى وهو فى أشد حالات السعادة والفرح، وقد أخذنا عنوانه حتى نراسله.

وهكذا لولا أننا تحدثنا باللغة العربية ما لفت ذلك إلينا أحداً، ولضاع علينا هذا القلب.

إسلام عالم أعماق البحار الفرنسى جاك كوستو: اكتشف الفرنسيون إسلام جاك كوستو عالم أعماق البحار حين كان فى رحلة مع أصدقائه، ثم قدموا له كأساً من الخمر فاعتذر عن شرب الخمر. فقالوا له: هل أنت قد أسلمت؟ فقال: نعم. وقد كان يكتم إسلامه منذ سنين.

وهكذا كان السلوك الإسلامى دعوة.

الرسول - ﷺ - يضع أيدينا على وسائل الداعية:

يقول الأخ: إنه يقف عاجزاً أمام إنسان يريد أن يبدأ معه السير نحو الدعوة، ويتعلّل بانه ليس فقيهاً ولا مدرباً على أسلوب دعوة الناس، وكل ما يخطر بباله وعقله أن تلك الأحاديث التى يقرأها عن رسول الله ﷺ إنما هى من باب البركة .. وما يدرى أن البركة لابدّ لها من أثر، وهذا الأثر هو «الإنتاج» وكما قال أحد الإخوان: «أيها الإخوان، اتخذوا من المغازل مسابح ومن المسابح مغازل، وتعبدوا إلى الله بالإنتاج».

فحين يقول الرسول ﷺ: «تبسمك فى وجه أخيك صدقة» فمعنى ذلك أنك إذا لم تبتسم فى وجه أخيك فلا صدقة لك. فإذا ابتسم كل مسلم فى وجه أخيه فقد أوجدنا المجتمع المسلم المشرق المتحاب.. وهذه هى بركة الابتسامة الصادقة الصافية.. ولقد عاتب الله تعالى رسوله حين تجهم فى وجه الصحابى ابن أم مكتوم فقال سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ① أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ١-٣]. وعلى ضوء هذا المعنى سوف تكتشف أن كل ما جاء عن رسول الله ﷺ هو أسلوب خطة عمل وأسلوب دعوة

ومنهاج تربية وحركة، تصنع وتبنى وتقيم أمة الإسلام.

وإليك أيّها الأخ الحبيب نموذجاً من هذه الأحاديث الشريفة الهادفة والتى تضع يدك على الوسائل والأساليب السهلة الممكنة والمهيأة لكل داعية بلا تكلف ولا تعنت. وسترى أنها لم تكن خافية ولكن أجهزة الاستقبال والتذوق عندنا كانت معطلة، فضلاً عن أننا كنا لانستعير وسائلنا من نبع عقيدتنا وديننا.

من رواية لمسلم – عن رسول الله ﷺ – قال: حق المسلم على المسلم ست:

١ – إذا لقيته فسلّم عليه.

٢ – وإذا غاب فتفقده.

٣ – وإذا مرض فعُدْهُ.

٤ – وإذا دعاك فأجبه.

٥ – وإذا عطس فحمد الله فشمّته.

٦ – وإذا مات فشيّعه.

البداية هنا فى أيدينا: إذا لقيته فسلّم عليه. فالسلام هنا هو مفتاح ومقدمة لكل الخطوات التى تترتب عليه، والسلام هو تحية

المسلم ويتوثق بالمصافحة. وإلقاء السلام لابدّ أن تكسوه روح المحبة والإيناس وإشراقة الوجه فليس كل سلام يأخذ سبيله إلى القلب، وحين يتعرف الإنسان على أخيه اسما وعملاً وسكناً يكون قد وضع الأساس الذى تقوم عليه الخطوات أو الأدوار القادمة.

وإذا غاب فتفقده

طبيعة التعارف أنك إذا تعرفت بإنسان ثم غاب عن ناظريك فترة غير معتادة، فمن واجبك أن تسأل عنه بالهاتف أو برسالة أو زيارة.

وتلك خطوة ثانية.

وإذا مرض فعُدْه..

وكل إنسان منا تمر به فى الحياة ظروف من سنن الله، فحيناً يفرح وحيناً يحزن وحيناً يمرض. وفى كل هذه الحالات يقع عليك واجب تستطيع به أن توثّق الرابطة وتبرز معالم الدعوة، فإذا علمت أن صاحبك قد مرض، تسرع إلى زيارته وتؤنسه فى جلسة خفيفة لطيفة وتدعو له بالمأثور عن رسول الله ﷺ. وكم يكون جميلاً لو أخذت معك هدية مناسبة فرسول الله ﷺ يقول: «تهادوا تحابوا» (رواه مالك فى الموطأ). وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله

ﷺ قال: «مَن عادَ مريضاً أو زار أخاً له فى الله ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً» رواه مسلم. وستجد عند صاحبك بعض إخوانه وأصدقائه، فاحرص على التعرّف عليهم من ثنايا الحديث الجارى فى لطف وبساطة، على أمل أن تلقاهم بعد ذلك، ولا تشغلك عن الزيارة صحيفة أو مجلة أو حديث جانبى فتفقد الزيارة هدفها. وإذا دخلت داره فاجلس حيث أجلسوك، فقد ورد: من دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه، فإن القوم أعلم بعورة دارهم (الطبرانى).

وإذا دعاك فأجبه..

بعد هذه الخطوات وتلك المراحل السابقة، سوف تقترب القلوب وتتوطد العلاقات، ولسوف تاتى لصاحبك ظروف من نجاح أو زفاف أو غير ذلك، فيدعوك لها. وفى هذه الحالة لابدّ أن تستجيب لأنها الفرص الشرعية الطبيعية المتاحة التى لم تصنعها أو تتحايل عليها.

بالمثل كذلك وبعد هذه الخطوات يكون من المناسب أن تدعوه فى مناسباتك.

وإذا عطس فحمد الله فشمّته..

يجلس الإنسان فى أىّ مكان فى سفر أو حفل أو عيادة وبجواره مَن لايعرفه. وتأتي الفرصة، فيعطس احدهم فتتوجه إليه بوجهك مبتسماً وتقول له فى عاطفة من الحب: (يرحمك الله) تقولها كأنها دعاء (وهى فى الحقيقة دعاء).. ولا شك أن توجيه الدعاء بهذا الشعور سوف يلتقطه قلبه بمذاق جديد يهزه وينعشه ويمكن بعد ذلك الدخول فى أىّ حديث.

وإذا مات فشيّعه..

يقول الأخ وماذا بعد موته من جديد؟

الحقيقة أن تشييع المسلمين للميت هو تشييع المسلم لنفسه حيث يعيش مع العظة والعبرة ويتدبر أمره، وتشييع الميت سنّة، وهو مظهر من مظاهر وحدة المسلمين وتآلفهم. وإذا كنت من قبل قد تعرفت على الميت وحده فأنت اليوم تتعرف على جميع أهله وذويه ومَن جاء ليعزّيهم فيه.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ : « مَن شهد الجنازة حتى صلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان » قيل: وما القيراطان؟ قال: « مثل الجبلين العظيمين » متفق عليه.

خطوات إلى القلوب

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس.

قالوا: يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها؟

قال: إن أبواب الخير كثيرة:

١ - التسبيح والتكبير والتهليل صدقة.

٢ - وتميط الأذى عن الطريق صدقة.

٣- وتسمع الأصمّ وتهدى الأعمى.

٤ - وتدلّ المستدِلَ على حاجته.

٥ - وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث.

٦- وتحمل بشدة ساعديك مع الضعيف.

فهذا كله صدقة منك على نفسك».

لاشك أن رسول الله ﷺ - بما جاء فى هذا الحديث - قد وضع

العلامات التى ترشدنا إلى الوسائل الفعّالة للتعامل مع القلوب، ولم يدع عذراً لمعتذر عن الوفاء.

١ - التسبيح والتكبير والتهليل:

هو لهج باللسان وخشوع في القلب ومناجاة لله تعالى ليبقى الإنسان فى صلة موصولة بالملأ الأعلى... القوى التى تعين الإنسان على الصبر ومواصلة الطريق، والذكر أى التسبيح والتكبير والتهليل نوع من العبادة المتصلة التى تجوز فى كل الأوقات وكل الحالات. وهى الشحنة الدائمة ليقظة القلب وطهارة الوجدان وسلامة القلب، وللذكر من الثواب والأجر ما يعوّض على الإنسان ما يكون من اللمم.

٢ - وتميط الأذى عن الطريق:

حين كان المجتمع الإسلامى قائماً، كنا نرى الآباء والأجداد يميطون الحجر والشوك والعظم عن الطريق، حتى لاتؤذى أحداً من المسلمين. فإذا عثروا على ورقة فيها آيات من كتاب الله تعالى أو أحاديث رسول الله ﷺ أو ورقة مكتوبة باللغة العربية أحرقوها أو بحثوا عن شق فى جدار وضعوها فيه.

لقد رأيناهم يبكّرون إلى أعمالهم ويكنسون أمام منازلهم

ومتاجرهم بل ويحرقون البخور ذا الرائحة المنعشة. لقد فعلوا ذلك بوازع من عقيدتهم وإسلامهم.. وحين غاب الإسلام عن حياة المسلمين أصبحنا نرى أكوام القمامة مكدسة فى أرقى الأحياء، فكثرت القاذورات والذباب والأمراض، لقد ندبنا رسولنا ﷺ إلى رفع الأذى عن الطريق ورتب لنا على ذلك صدقةً وأجراً، فإذا ألقى أحدنا الأذى فى الطريق فسيكون عليه وزرٌ بداهة.

عن رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره فشكر الله له وغفر له» وليس هذا التكليف للفرد المسلم فقط ولكنه تكليف عام تقوم به الدولة المسلمة حفاظاً على صحة الشعب ومظهر الأمة المسلمة. ولقد قال فى ذلك سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه: «لو عثرت بغلة فى العراق لوجدتنى مسؤولاً عنها لِمَ لم أسوِّ لها الطريق».

والذين سافروا إلى البلاد الأجنبية سوف تبهرهم نظافة الشوارع والأزقة، فقد هيّأت الحكومات للشعب وسائل كثيرة لجمع القمامة بكل أنواعها، فالجرائد والصحف القديمة تجمع فى يوم محدد. والأثاثات المنزلية التى يستغنى عنها أصحابها تجمع فى يوم محدد، والزجاجات توضع فى أماكن محددة بحيث يمكن للدولة الاستفادة بكل هذه المخلّفات. وكل صاحب محل أو منزل يقوم بالنظافة أمام

منزله أو محله فيرفع الثلج ويكنس ورق الشجر. وإذا أصيب ساعى البريد أو أىّ إنسان فانزلقت به قدمه يرفع قضية ويأخذ تعويضاً من صاحب المنزل ربما يصل إلى ألف دولار.

وبهذا الأسلوب أخذت كل مدينة وكل قرية زخرفها وجذبت إليها السائحين من كل مكان، هذا فضلاً عن النظام الدقيق، فإذا استجاب كل مسلم لتوجيه رسول الله ﷺ فى رفع الأذى عن الطريق ظهر المجتمع بصورة مشرقة تعلن عن طبيعة الإسلام فى جوهره ومبناه.

٣ - وتسمع الأصمّ وتهدى الأعمى:

وأن تُسمع الأصمّ، تصور أن رجلاً أمياً لايقرأ ولا يكتب، جاءه خطاب من ولده المجند بعد غياب طويل، فظل يبحث فى شوق ولهفة على مَن يقرأ له تلك الرسالة.. مثل هذا الرجل كمثل الأصم تدور من حوله الأحاديث وهو صامت لا تبدو عليه صورة من الانتباه، فهو لايعرف ما يدور من أخبار وأحداث. هذا الإنسان لايشعر بوجوده ولايحسّ طعماً للحياة، اللهمّ إلا إذا أشفق عليه الناس فعايشوه معهم وأسمعوه كل ما يدور من حوله.

شاهدت فى أحد المراكز الإسلامية فى أوروبا شاباً ألمانياً مسلماً،

وحين إلقاء الدرس أو المحاضرة كنت تراه يجلس صامتاً لا تظهر على وجهه لمحات المشاركة معنا لأنه لايتكلم ولايفهم اللغة العربية إلا إذا قام أحد الأخوة فترجم له الحديث.

فأىّ شعور ينتاب الإنسان الأصمّ إذا تجاهله الناس فى هذا المجتمع، لاشك أنه يتحامل ويتألم من داخله ويكاد يكره الناس من حوله.

وأن تسمع الأصمّ، فيه تراحم وتعاون وإبراز المجتمع الإسلامى بصورة يحسّ فيها الأصمّ بإنسانيته وكيانه.

وتهدى الأعمى:

وكما تحدّثنا عن المتاعب النفسية التى يعيش فيها الأصمّ فإن الأعمى يعيش فى نفس الظروف بل أعتى وأشدّ. فهو إذا خرج إلى السوق لضرورة فإنه يحتاج إلى مرافق يهديه السبيل. فإذا عجز عن أن يصاحبه مرافق، وخرج إلى الشارع يضرب يميناً ويساراً بعصاه ويدور حول نفسه.. والناس يمشون إلى جواره لايعنيهم أمره فى شيء.. لا شك أنه يحسّ بالحقد على هذا المجتمع الأنانى، وبهذا تفقد عناصر الأمة أخصّ خصائصها من المودّة والرحمة.

فإذا تقدمت أنت أيّها الأخ الداعية إلى هذا الرجل وأخذت بيده

إلى الجهة التي يريدها في تلطف وأدب، فقد قدّمت لهذا الرجل خيراً وللإسلام ذكراً.

وبعض البلاد تقدّر لمثل هؤلاء الصمّ والعمى ظروفهم فتجعل لكلٍّ منهم مرافقاً عند سفره، وتعطيه تذاكر للسفر مجاناً، كما تعالجه مجاناً أيضاً. وبعض البلاد تخصّص لأمثالهم أماكن في جميع أنواع المواصلات من حافلات وقطارات لايجلس فيها غيرهم. كما تجعل لهم كباين تليفونات خاصة بهم في الشوارع. وبهذا يعوّضون عجزه باحترامه ومساعدته وتقدير ظروفه، فضلاً عن الاستفادة بالمستحدثات الطبية مثل السماعات للمرضى من الصمّ واستخدام التكنولوجيا الحديثة في إرشاد العُمى.

٤ - وتدل المستدل على حاجته:

كثيراً ما يضلّ الناس طريقهم في بلاد لايسكنونها وأرض لا يعرفونها، فيتلهفون على مَن يدلهم أو يرشدهم، فإذا استفسروا من أحد فلا يزيد على أن يقول لهم: لا أعرف! وآخر يقول لهم: مرحباً ويسير معهم حتى يبلغهم غايتهم، وهذا هو الإنسان الذى يصنع المعروف ويترك فى نفوس الناس أثراً طيباً ﴿**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج:٧٧].

بعض الأطفال يخرجون من بيوتهم فيضلّون الطريق، تُرى لو أن طفلاً من هؤلاء لم يجد من يؤويه حتى يعثر عليه أهله وذووه، ماذا يكون مصير هذا الطفل لو سار إلى مكان مجهول أو دخل عليه الليل البهيم أو افترسه حيوان أو عضّه ثعبان!!

بعض الناس يفقدون حقائبهم أو أوراقهم الخاصة الهامة، فكم تكون قيمة هذا الإنسان الذى يعثر عليها ويقوم بردّها إلى أصحابها؟! إنه مجتمع الأمانة والكرامة.

إن الإنسان الذى يقوم بهذه الواجبات إنما يغرس محبته فى قلوب الناس ويحفر مبادئ الإسلام فى المجتمع، وهذا هو شأن الداعية المسلم.

(أ) قابلت فى الإسكندرية سيدة عجوزاً جاءت من إحدى القرى وبيدها ورقة مكتوب عليها عنوان ابنها المجند فى الجيش، والعنوان لايزيد عن (فلان بالجيش المصرى باسكندرية) والسيدة فى حالة من التعب والإرهاق. فالحقيقة أن هذا العنوان لايكفى للاستدلال، حيث إن فى الإسكندرية عشرات الوحدات العسكرية وآلاف الجنود. ولكننى بتوفيق الله تنبهت إلى أن هذا الجندى لابدّ أن يكون قد جنّد حديثاً، فهو إذن

يكون في مركز الاستقبال أو التدريب، وذهبت إلى هناك وسعيت بكل جهدى حتى عثرت عليه، وتوسطنا لدى المسؤولين ليسمحوا لأمه بزيارته، وقد نالنى من الدعوات ما سعدت به كثيراً، وصدق رسولنا العظيم: «**وهديك الرجل فى أرض الضألة صدقة**».

(ب) فى مطار فرنكفورت الرهيب بألمانيا غفل أحد الإخوان عن حقيبته الخاصة ولم ينتبه إليها إلا بعد أن غادرت الطائرة، وعثر شاب تركى مسلم على الحقيبة، فلما عرف أن الأوراق الموجودة بالحقيبة مكتوبة باللغة العربية أدرك أن صاحبها عربى مسلم، فقام مسرعاً إلى المركز الإسلامى وسلم الحقيبة للأخ المسؤول، وانصرف مشكوراً. وللأسف الشديد فإن الأخ الذى تسلّم منه الحقيبة أهمل فى أن يتعرّف عليه باسمه وعنوانه لأن مثل هذا الإنسان لا يدخل فى مجال الإهمال والنسيان، فهى فرصة غالية ضاعت بلا ثمن.

(جـ) طلب منى أحد الإخوان أن أكتب له توصية لأحد الإخوان الموظفين فى وزارة المالية بالقاهرة كى يساعده فى تحصيل مبلغ لدى الوزارة. وحين توجه الأخ إلى الوزارة حدّثته نفسه أن لا داعى لاستعمال هذه التوصية فربما تقضى مصلحته بدونها.

ودخل على أحد الموظفين وقال له : السلام عليكم . فردّ الموظف قائلاً له : (سلام) . . ولما عرض عليه مسألته أحاله على موظف آخر فذهب إلى الموظف الآخر وألقى عليه السلام، فلم يردّ عليه وقال له : ماذا تريد؟ ثم أحاله على موظف ثالث . فلما ذهب إليه وألقى عليه السلام ردّ عليه بابتسامة وتهلل وجهه قائلاً : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، تفضل يا أخى أىّ خدمة تريد قضاءها؟!

فقال له الأخ : حضرتك فلان؟ قال : نعم . فقدّم له التوصية، فاجلسه وقدّم له التحية وسأله عن الإخوان وقضى له حاجته وعاد يحدّثنى عن القصة .

من هنا نرى أن الأخ الداعية العامل أو الموظف أو التاجر عليه واجب الإخلاص فى العمل ومساعدة الجمهور الذى يكون فى أشدّ الحاجة لهذه المساعدة . . بعض الموظفين يستغلّون وظيفتهم للاستفادة المادية غير المشروعة، ولكن واجب الداعية أن يستغل وظيفته للإعلان عن السلوك الإسلامى فى الصدق والوفاء بالوعد وحسن الاستقبال وحسن المعاملة والأمانة فى أداء الواجبات .

٥ - وأن تسعى بشدّة ساقيك مع اللهفان المستغيث:

واللهفان المستغيث هو كل إنسان بل كل ذى كبد رطبة استنجد واستغاث من حريق دبّ فى بيته أو منزل انهار على أهله أو إنسان يغرق فى اليمّ أو أىّ حادث من تلك الحوادث المختلفة المروعة.

فى مثل هذه المواقف لاتستفسر ولا تتباطأ بل تسرع بشدة ساقيك، فالموقف رهيب لايحتمل الانتظار..

لايسألون أخاهم حين يندبهم

فى النائبات على ما قال برهاناً

فإن الإنسان حين يقع فى مثل هذه الظروف الصعبة فإنه يلتفت فى لهفة إلى مَن يغيثه وينقذه، والذى يتقدم للإنقاذ إنسان مفطور على المروءة والشهامة، ولسوف يترك فى نفس مَن أنقذه أثراً لايمحى مع الزمن وتترتب عليه بعد ذلك علاقات مودّة وحب.

١ - رأيت شاباً جامعياً يبدو أنه مريض بالصرع يسقط فجأة على الأرض، فتتبعثر كتبه وتسيل منه الدماء.. وكان ذلك أمام قوم يجلسون أمام منتدى يشربون المكيّفات، فما تحرك منهم أحد إلا سيدة وابنتها كانتا على الطريق وأسرعتا إليه لتضميد

جراحه فى عطف وإشفاق، وأسرعتُ إلى التليفون حتى حضرت سيارة الإسعاف واصطحبته إلى المستشفى، وبعد أن أفاق ذهبت به إلى منزله.. وقابلنى أهله بالترحاب والشكر والثناء، فسلمت لهم كتبه التى كانت معه وما زلت على صلة به وبأسرته فى المناسبات.

٢ - قالت لى ابنتى الطالبة فى جامعة الإسكندرية أنها كانت فى فناء الكلية مع زميلاتها المحجبات، وشاهدن زميلة لهنّ غير محجبة تسقط على الأرض، فأسرعن إليها وقمن بإسعافها. فلما أفاقت ووجدتْ كل مَنْ حولها من المحجبات ذهلت وقالت لهنّ: والله أنا ما كنت أُفكر ولا أتصور أن هذا هو شعوركن!! ولعلّها من فرط ما تسمع عن المحجبات من كذب وافتراء لم تتصور أن يكون عند المحجبات عاطفة أو شعور بالإنسانية!! وهذا يدعونا إلى المساهمة والمشاركة فى كل المجالات النظيفة المتاحة لنا حتى نصحّح تلك التهم الباطلة ونبرز أخلاقنا الإسلامية وندفع بها إلى حلبة الصراع، فنحن أولى بذلك من أن نترك الساحة لمن يشوّهون وجه الإسلام، فليس من الحق ولا من الوعى أن نترك هذه الميادين ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ [الأنبياء: ١٨] وقد كلّفنا الله تعالى فقال: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**

فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤] .

٣ – فى إحدى كليات جامعة الإسكندرية قام شاب أحمق متهور بمعاكسة فتاة مسلمة (منقبة) فنزع نقابها عنوة متحدياً بذلك شعور الأخوات والجماعة الإسلامية . فاستغاثت الأخت بأخواتها وإخوانها، وكاد الشباب يفتكون به لولا أن أحدهم كان واعياً وحكيماً وأدرك ما سيكون من وراء هذا الحادث . فتوجهوا إلى عميد الكلية واطلعوه على ماحدث وحمّلوه المسؤولية، ثم خرجت جميع الفتيات المحجبات والمنقبات على مستوى الجامعة فى مظاهرة لامثيل لها من الروعة والجلال من مبنى الجامعة إلى سراى محافظة الإسكندرية . مخترقات أعظم شوارعها فاستقبلهن الشعب بأروع مظاهر التقدير والاحترام، وخرج لهن محافظ الإسكندرية مستقبلاً بروح الوالد المنصف . وبعد أن عرض الطالب المعتدى على مجلس التأديب صدر قرار من مدير الجامعة بفصله من الجامعة .

٤ – فى عام ١٩٤٧ داهم وباء الكوليرا مصر من اقصاها إلى اقصاها، وعاشت البلاد فى هلع وفى كرب ومحنة . وقام شباب الإخوان المسلمون بواجب الإنقاذ ومساعدة الحكومة فى الرعاية الصحية، من تطعيم الشعب ومراعاة النظافة ومحاصرة المناطق

الموبوءة، حتى لايختلط المرضى بالأصحاء.

وأنقذ الله مصر من هذا البلاء. وأرادت الحكومة مكافأة الإخوان فاعتذر الأستاذ البنّا عن ذلك، وقال إن هذه رسالة الإخوان المسلمون. وحفظ الشعب للإخوان حُسن صنيعهم.

٥ - ذهبت إلى جمرك ميناء الإسكندرية لاستلام سيارة وردت إليّ من الخارج، وقُدِّمت لى فاتورة حساب التفريغ والحراسة وما إلى ذلك فوجدت أن المبلغ المطلوب منى كثير، فتوجهت إلى مكتب المدير أُناقشه فى الحساب على أمل أن يخفّض هذه المصاريف.

وفجأة رأيت الرجل يرحّب بى كثيراً ويخفض المصاريف بأكثر مما كنت أنتظر، وقال لى: إن الذى أرسل لك هذه السيارة له علىّ فضل كبير، فقد كنت أحجُّ العام الماضى، وبينما أنا أخرج من المسجد الحرام سرقت حافظة نقودى، فتقدم هذا الرجل الكريم وصمّم على أن يعطينى من النقود ما يكفينى حتى أعود إلى مصر. وأمام هذه الأريحية أخذت منه ما أحتاج إليه، وبعد عودتى أرسلت له المبلغ شاكراً. لهذا فقد وجب علىّ أن أردّ له بعض فضله!!

وهكذا أخى الفاضل: الكلمة الطيبة لاتفنى والعمل الصالح

لايموت. وكما يقولون: (اعمل خيراً وارمه فى البحر) ولكننا نقول: اعمل الخير لوجه الله تعالى، فسيعود إليك فى الدنيا والآخرة. ولا شك أن عمل الخير والمعروف مع إنسان فى غربته يساوى أضعاف مايساويه لو صنعته مع أىّ إنسان فى وطنه. لهذا فإنك ترى أن العلاقات تتوثق بين الغرباء بأكثر ما تتوثق بين الأقرباء.

مَن يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لايذهب العُرف بين الله والناس

٦ - فى محنة أغسطس عام ١٩٦٥ صدر قرار بالقبض على زوجتى فى رشيد وقام ضابط (رائد) على رأس قوة من رجال البوليس بتنفيذ القرار، وتركوا من خلف زوجتى أطفالها الخمسة، أكبرهم فى العاشرة وأصغرهم فى الثانية من عمره. واهتزّت مدينة رشيد لهذا الإجراء الثورى.. حيث كان الأطفال يذهبون كثيراً إلى محطة السيارات القادمة من الإسكندرية كما تعودّوا لاستقبال والدهم كل يوم وهم يصيحون تعال يابابا.. تعالى ياماما، ويشفق عليهم الناس ويعودون بهم إلى المنزل. وفى أتون هذه المحنة تتبلور معادن الرجال..

فلا تزال زوجتى تذكر بالخير والتقدير موقف هذا الضابط

الفاضل الذى عاملها معاملة إنسانية كريمة وقدّم لها نصائح مفيدة حتى سلّمها إلى بوّابة السجن الحربى، وكذلك الضابط الإنسان الذى عاد بها إلى أهلها بعد المحنة.

ولا تزال تذكر بالثناء والدعاء جنديا واحداً من العشرات الذين يتناوبون الحراسة عليها، تذكره وهى تبكى، كيف كان يعاملها خلسة كوالدته، يحنو عليها ويطمئنها ويصبّرها ويبشّرها بالإفراج، وكيف كان يخفى دموعه لما يراه من ظروفها وسوء معاملة السجّانين لها، لاتزال تقول: «إنه ملاك» جعله الله تعالى رحمة بأمثالى، ورغم أنه قد مضى ما يقرب من عشرين عاماً فإننا لانزال نتمنى لو يتاح لنا أن نتعرف عليهم وفاء بحقهم.

٧ – كان من بين عشرات العساكر المكلفين بتعذيب الإخوان جندى (يعمل راعى غنم) كان يعامل مئات الإخوان بالحسنى كأنه واحد منهم، وهو أمر شاذ بين هؤلاء الوحوش، وقد عُرِفَ أمره لدى إدارة السجن، فسجنوه معنا وناله من العذاب ما لايطيقه بشر، ولكنه بقى فى قلوبنا.. والآخرة خير وأبقى، وثواب الله خير من ثناء الناس.

٨ – بعد أن سقطتُ من الإعياء والتعذيب كلف أحد العساكر

بتوصيلى إلى الزنزانة جرياً على الأقدام، ولما كنت لا أستطيع ذلك فقد أشفق هذا العسكرى وحملنى حتى رآه أحدهم، فناله من التعذيب بالسوط أكثر مما يناله أمثالنا انتقاماً منه وتخويفاً لغيره.

ومع هذا فإن العسكرى رشاد مفراك (الفلاح) فقد أصرّ على مساعدتى، فكان يعطينى كل يوم كوب ماء زيادة، حيث لم يكن يسمح لنا إلا بكوب واحد فى اليوم والليلة وأحياناً لاشىء.

ستقول : وكيف إذن عرفت اسم هذا العسكرى (رشاد مفراك) ؟ ذات مرة ناديته باسمه، فثار وغضب وتوعد وقال لى : كيف عرفت اسمى؟! إن ذلك ممنوع!! فقلت له : يا أمباشى رشاد، إن اسمك مكتوب على ذراعك (بالوشم) فاسرع فى الحال وربط ذراعه بمنديل حتى لانقرأ اسمه.

٩ - كيف ولماذا أسلم جلرودى؟ يقول روجيه جارودى : إنه كان من مجموعة الجنود الفرنسيين الذين كانوا يحاربون المسلمين الجزائريين فى ثورة الجزائر عام ١٩٦٠، وقد تم القبض عليه بواسطة مجموعة من المجاهدين المسلمين، وكلّف قائد هذه المجموعة أحد المجاهدين بأن يتولى (إعدامى) فى الجبل. وحين انفردت بهذا

المجاهد المسلم سألنى هل معك سلاح؟ فقلت له: لا ليس معى سلاح. فقال هذا المجاهد: وكيف أقتل رجلاً ليس معه سلاح وأطلق سراحى!!

قال جارودى: وبقيت هذه القصة تتفاعل فى ضميرى سنين كثيرة، أتذكرها دائماً، حتى قمت بدراسة الإسلام فأيقنت أن هذا المجاهد كان ينطلق فى تصرفه معى من واقع العقيدة والأخلاق الإسلامية، فكان لهذا الحادث أثره البالغ فى إسلامى (الذى هزّ العالم بأسره).

٦ - وتحمل بشدة ساعديك مع الضعيف:

وفى زحمة السفر فى الرحيل أو العودة سواء بالطائرة أو القطار أو سائر المواصلات يحتاج الإنسان لمن يساعده فى نقل حقائبه والمحافظة عليها.

وكم من إنسان مريض، رجلاً كان أو امرأة، يتطلع إلى مَن يحمل عنه أثقاله أو يعاونه فى نقلها.

وأحياناً يحتاج إلى توصيل حقيبة أو رسالة مستعجلة مع مسافر فيكون من المروءة أن تقوم بذلك ما دمت واثقاً من محتوياتها، وقد ندبنا رسول الله ﷺ لمثل هذا، فقال فى حديث شريف رواه معاذ بن

جبل: (. . وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه . . صدقة) رواه مسلم.

وعن أبى سعيد الخدرى قال: بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «مَن كان معه فضل ظهر فليعد به على مَن لا ظهر له، ومَن كان له فضل زاد فليعد به على مَن لا زاد له». وبعض الأخوة يملكون سيارات خاصة وأحياناً كثيرة يكون عندهم سعة لأكثر من راكب، وهى فرصة لاصطحاب هؤلاء الذين يقفون على الطرقات بالساعات يستنجدون بذوى المروءة، ولا شك أن مَن يقوم بهذا الواجب سوف يترك أثراً كبيراً له ما بعده.

١ - أحد الإخوة من اصحاب القلوب الكبيرة ويعيش فى بلد عربى، حين يجد عنده متسعاً من الوقت يأخذ سيارته يجول بها عساه يجد شيخاً كبيراً أو امراة عجوزاً او ذا حاجة ياخذه حتى يبلغه مقصده. وقد استطاع بهذه الأخلاق الكريمة أن يكون له أصدقاء وأحبّاء فى كل حىّ من أحياء المدينة، وقد اشتبه رجال المرور فى أنه يستعمل سيارته بالأجرة، ولكنهم حين تاكدوا من نبل مقصده عجبوا لأمره.

٢ - كنت في الأيام الأولى من حياتي في دعوة الإخوان المسلمون أُحاول أن أبتكر وسائل للتعرّف على الناس، فكنت حين أركب الترام أحاول الوقوف على السلم حتى أُساعد الركاب في حملِ حقائبهم سواء في الصعود أو الهبوط. ولكن كثيراً ما كنت أُقابَل من الناس بالرفض والشك، إذ يسبق إلى ظنهم أني « لص » وأدركت من يومها أن مثل هذا التصرّف يجب أن يكون بوحي ولفتة من صاحب الشيء، وإلا فإن النتيجة سوف تكون إلى قسم البوليس.

ومن مذكرات الأستاذ عمر التلمساني في جريدة الشرق الأوسط:

٣ - مرّت بمصر فترة انتشر فيها قطّاع الطرق ليلاً، وقد انتهت تلك الحال من زمن بعيد.. يشيرون للسيارات بالوقوف إنقاذاً لأزمة، فإذا وقفت السيارة انقضّوا عليها وسلبوا أموال وملابس الراكبين. في تلك الفترة كان « حسن البنا » عائداً إلى القاهرة بعد منتصف الليل، فرأى سيارة على جانب الطريق، ورجلاً يشير بالوقوف، فلم يتردد لحظة، وطلب من الأخ الذي كان يقود السيارة أن يقف، ونزل بمفرده يسأل الرجل عمّا يطلب، فأخبره أن بنزين سيارته فرغ وطلب مدداً من البنزين. في ذلك

الوقت لم تكن الكلاكسات قد انتشرت بل كان التنبيه بالنفير، وهو بوق معدنى ينتهى بقطعة من الكاوتشوك مفرغة، إذا ضغط عليها أحدثت صوتاً فنزع الإمام الشهيد الجلدة من البوق وملأها بنزيناً عدة مرات من خزان سيارته، وأفرغها فى سيارة الرجل. كل ذلك ولم يسأل الإمام الشهيد الرجل عن اسمه أو هويته أو دينه أو عمله شأن النبلاء من الرجال الذين يفعلون الخير، ودهش الرجل من هذه المعاملة النبيلة، فقدم نفسه إلى الإمام الشهيد قائلا : أنا محمد عبد الرسول، القاضى فى محكمة القاهرة، فمن أنت؟ قال الإمام فى تواضعه المعروف : أنا حسن البنّا، المدرّس فى مدرسة البنين الابتدائية، فسأله القاضى : حسن البنّا المرشد العام للإخوان المسلمون؟! قال الإمام الشهيد . نعم. ومن يومها وكان المرحوم الأستاذ محمد عبد الرسول أحد الألسنة الطاهرة التى تتحدث عن الإخوان المسلمون فى الوسط القضائى . هذا موقف قصة قصّها علىّ صاحبها يوم كان قاضياً فى محكمة شبين الكوم، والله على ما أقول شهيد .

٤ - وحدث مع المسلم الألمانى يحيى شوفسكه أنه بعد زواجه ركب مع زوجته سيارة عامة . . وكانا جالسين، فرأيا أفريقياً أسود هرماً، فقام يحيى وقدم مكانه للرجل. فإذا بالرجل يبكى . ولما

كان يحيى لا يعرف الإنجليزية فقد سأل جيرانه عمّا يبكى الرجل، قالوا له إنه قادم من جنوب إفريقيا، ولأول مرة فى حياته يرى رجلاً أبيض يقوم له ويعطيه مكانه، يحكى يحيى القصة ويقول: هذا هو الإسلام.

وإذا حضرت الصلاة خرج يحيى لأدائها مع الناس فى الحرم المكّى ونسى أن يأخذ سجادته معه، ونظر حيث سيضع جبهته فوجد الحصى والحجارة. قال فى نفسه: هذا ما قسمه الله لى، فإذا إلى جواره حاج هندى يخلع معطفه ويفرشه له. يقول يحيى: وهذا هو الإسلام، ويحكى ذلك وغيره وامرأته تكمّل الحديث وتذكّره بما نسى.

تبسمك فى وجه أخيك صدقة

يقول الرسول ﷺ : **«تبسّمك فى وجه أخيك صدقة»** لم يقل (تبسمك لأخيك) لأن الوجه هو مجمع الحواس وهو الصورة الحقيقية للإنسان، والابتسامة التى تنحرف عن الوجه لا أثر لها ولا وجه.

والابتسامة هى انفراج الأسارير عن انفعالات صادقة داخل النفس تحرّك الوجدان وتشرق على الوجه كوهج البرق، حتى ليكاد الوجه يتحدث بنداء وهواتف تلتقطها القلوب فتنجذب، والأرواح فتأتلف.

وليست الابتسامة المتكلفة المصنوعة مثل الابتسامة الصافية المطبوعة. فالابتسامة المصنوعة إبداع فنى (كالورد الصناعى) والابتسامة الصادقة المشرقة فطرة (كالورد الطبيعى) له بهجة وفيه نداوة ورائحة زكية، ينعش النفس ويوقظ الحواس.

ورسولنا ﷺ ينبّهنا لهذا فيقول: **«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»**.

لقد ثبت علمياً منذ نصف قرن من الزمان أن النباتات تتأثر حين تقع فى مجال أصوات موسيقية هادئة، فتمتاز بوفرة إنتاجها وزيادة كمياتها، وتفرح كذلك إذا اقترب منها أحد الأصدقاء ليرويها أو يغذيها، وتتألم بالطبع ممّن يقطع فرعها وثمارها.

وقرأنا أن رسول الله ﷺ قال عن جبل أحد: **«أُحُد جبل يحبّنا ونحبّه»**.

فإذا كان هذا هو حال النباتات والجمادات فى غير رؤية منّا ولا إدراك، فما بال الإنسان الذى ميّزه الله تعالى بالعقل والحواس؟! وتلك هى الكنوز المذخورة فى كينونته لو أنه اكتشفها فى نفسه لفتح الله له بها قلوباً غلفاً وأعينا عمياً. ولقد صنع الإسلام فى الناس بالإيمان والحواسّ والقوى الروحية ما لم تصنعه أعتى القوى المادية.

فالداعية لابدّ أن يتذوق طعم الابتسامة الصادقة ويدرك أثرها العظيم، فكلما أخلصت فيها النيّة حفرت فى الصخر وأنبتت فى الصحراء وأزهرت خير أمة أخرجت للناس. إن أعظم مَنْ سطّروا صفحات المجد والخلود للإسلام، اعتنقوه ببسمة مخلصة، أو نظرة نافذة، أو معاملة حسنة، أو كلمة طيبة.. فالكلمة الطيبة لاتفنى.

مظهر الداعية

مظهر الداعية فى سمته وحسن هندامه ونظافته هو حديث النفس لكل مَنْ يراه أو يستمع إليه. فالنفس بطبيعتها تميل وتنجذب إلى هذه الصورة الجميلة التى يتمناها كل إنسان لنفسه، ومن هنا كان الاهتمام والاعتناء باختيار الأشخاص الذين يعرِضُون السلع على الجمهور فى أحسن وأبهى صورة، كذلك ترى أصحاب المحلات يعرضون على واجهة محلاتهم أجود وأجمل ما عندهم.

والدعوة فى الحقيقة عرض رسالة ومبدأ، يتمثلها إنسان استحوذت عليه فى أخلاقه وسلوكه ومظهره وقديماً سُئل الإمام البنّا: لماذا لا تؤلف لنا كتباً نستفيد بها؟ قال رحمه الله: أنا ليست مهمتى تأليف الكتب، فالكتاب يوضع فى المكتبة قلّما يقرأه أحد، ولكن الأخ المسلم كتاب مفتوح أينما سار فهو دعوة.

وكم من الإخوة الشباب من جمع الله تعالى عليه القلوب وهو لايحسن الحديث أو الخطابة، ولكن وهج الروح ووضاءة الوجه ودقة الشعور وحسن الهندام، فضلاً عن الإيمان العميق والفهم الدقيق..

تلك هى ثروة الداعية. وليست هذه الصورة جديدة أو مبتكرة، فلقد كان الصحابى الجليل دحية الكلبى من سفراء الرسول ﷺ، فقد أرسله إلى هرقل - امبراطور الروم - ودحية من مشاهير الصحابة، حسن الهيئة والصورة، وكان جبريل عليه السلام عندما ينزل الوحى على صورته البشرية ينزل على صورة «دحية» ولم يكن من أصحاب بدر، وكانت أولى غزواته مع الرسول ﷺ يوم الأحزاب، وشهد معركة اليرموك وكان قائدا لإحدى فرقها.

وكان الداعية مصعب بن عمير رضى الله عنه على نفس الصورة من المهابة والجمال، يقول ابن سعد فى طبقاته عن مصعب كانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحَضرمى من النعال، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحداً أحسن لمّةً أو أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير».

وهكذا كان الصحابى جعفر بن أبى طالب شهيد معركة مؤتة على نفس الصورة، ممّن كان يوفدهم رسول الله ﷺ إلى الملوك والسلاطين.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه «أن رجلاً أتى النبى ﷺ، وكان

رجلاً جميلاً فقال: يا رسول الله إنى رجل حُبّب إلىّ الجمال وأعطيته كما ترى حتى ما أحبّ أن يفوقنى أحد، إما قال بشراك نعلى وإمّا قال بشسع نعلى، أفمن الكبر هذا؟ قال ﷺ: «لا ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس» رواه أبو داود.

وهكذا ترى الداعية المسلم الذى يخالط الناس ويلتقى بالجماهير ويكون رسولاً إلى الهيئات والجماعات ينبغى عليه أن يكون على هذه الصورة. فكما قيل (الرسالة بالرسول).

وبعض الناس يكون إيمانهم فى أعينهم، فالمظهر والصورة وحسن الخلق مدعاة للناظر على التأمل والتفكير.

مصعب بن عمير : الداعية الأول

الصحابى الجليل مصعب بن عمير تحققت فيه كثير من مواهب ومقومات وسلوكيات الداعية، فضلا عن حسن صورته وجمال مظهره، وهو أول من بعث به رسول الله ﷺ إلي المدينة ، ونزل علي أسعد بن زرارة، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه . فلما سمعا به قال سعد لأسيد : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين

الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفّها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت لكفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً .

قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : **هذا سيد قومه ، وقد جاءك فاصدق الله فيه** . قال مصعب : إن يجلس أكلمه . قال : فوقف عليهما متشتماً فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . فقال له مصعب : **أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره** . قال: أنصفت. قال: ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : **والله لعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهله** . ثم قال ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهّد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن .. إنه سعد بن معاذ.

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم

، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم . فلما وقف علي النادى قال له سعد : ما فعلت ؟ قال: كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدِّثتُ أن بني حارثة خرجوا إلي أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك لأنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك. قال أسيد : فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادرا تخوفاً للذى ذكر له من بني حارثة ، وأخذ الحربة في يده ثم قال لأسيد : والله ما أراك أغنيت شيئاً . ثم خرج إليهما سعد بن معاذ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما . (وكان الذى حدث مع أسيد بن حضير هو نفس ما حدث مع سعد بن معاذ حتى أسلم) .

تعليق :

قصة مصعب بن عمير مع أسيد بن حضير وسعد بن معاذ تكشف عن كثير من الدروس المستفادة التي لا يمكن أن تكون أو تصدر إلا من داعية ملهم. فمصعب يستقبل أسيد وهو في شدة الغضب ، يستقبله بوجه باش طلق وابتسامة حلوة تذيب الجماد وتطفئ الغضب. إن مصعب يحمل أعظم وأقدس رسالة في هذه الدنيا، فلا يأخذه الاستعلاء على أن يخفض جناحه ويقدم بين يدى

دعوته روحها وأخلاقها وسموها . مصعب يتحدث مع أسيد فى بساطة وهدوء بمنطق الفطرة والعدل : «أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره» . . ماذا يقول الإنسان «الرجل» ، الباحث عن الحق؟ قال أسيد : أنصفت . ثم ركز حربته وجلس ؛ قالا : فعرفنا والله فى وجهة الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهله . نعم ، إن الأخ الداعية حين يتحدث بالدعوة فإنه يري أثر حديثه فى وجه محدثه ، فأحياناً يسترسل. وأحياناً يمسك. وبعد أن أسلم أسيد بن حضير وجهه لله تعالى وشرح الله صدره للإسلام انقلب فى الحال من مدعو إلي داعية ، وفى سبيل الله استعمل أسيد عقله في تدبير حيلة يذهب بها سعد بن معاذ ليسمع من مصعب بن عمير مثلما سمع ، فلا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأسلم سعد بن معاذ وأسلمت معه قبيلته بنو عبد الأشهل .

ومن أروع الكلمات المحيطة العميقة التي جاءت على لسان أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير حين جاءه أسيد بن حضير متشتماً قوله : يا مصعب ، هذا سيد قومه قد جاءك « فاصدق الله فيه» .

يا لها من كلمات خالدة . إنها سلاح الداعية وعدته ومنبع المدد

ومنهله «فاصدق الله فيه» يحقق الله تعالى فيه غايتك ورجاء قلبك فى هدايته ، لا تمن عليه بفضلك ولا تستعلى عليه بسبقك ، فالأصل في الداعية إخلاص النية وسلامة وطهارة الطوية والتجرد من كل غرض ، وهذا هو سر هتافنا (الله غايتنا) .

هذا الإخلاص هو الأصل فى الوصل والسر فى الاستجابة ، حيث يكون اللقاء على الله فى حب وفهم ونقاء .

«من نظر إلى أخيه نظرة ودٍّ غفر الله له».

صدق رسول الله ﷺ

هل هذه النظرة نظرة عابرة أم هي نظرة موجهة مؤثرة معبرة ؟! نظرة تتوجه إلي القلب تتحدث إليه بعاطفة رقيقة تهزه وتأسره . إنها نظرة مبهرة كوميض آلة التصوير ، تكشف فتلتقط وتلتهم أبهي وأجمل صورة فى لحظة كلمح البصر ، فتلتقي القلوب وتتعانق الأرواح ، ولا يتم ذلك ولا يكون إلا بالنظرة الصافية الطاهرة ، نظرة ود، ونظرة حب فى الله تعالي . وتبقى حاسة البصر (حاسة النظر) من أقوي وأخطر وسائل الداعية وأشدها تاثيرا فى القلوب ، فإن الداعية حين يلقى على أخيه نظرة ود فكأنما يلقى عليه « خلعة » من أعز وأثمن ما يملك في هذا الوجود . وإذا كانت نظرة الحسود تفجر

البنيان وتهدم الإنسان ، فإن نظرة الود والحب تفعل نفس التأثير ولكن في اتجاه الحق والخير والنور، فتجذب القلوب وتقوِّم الصف كالبنيان المرصوص. وتلك النظرة هي من قوي الإنسان الخفية ومن طاقاته النفسية ، عيون العقيدة لا تلتقى على بغض أو تناقض لأنها صادقة وثابتة لا تتذبذب .

وما تستطيع في نفسك أن تخفيه فالعين تبديه ، والمؤمن مرآة أخيه .

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨]

دعيت للحديث فى مخيم صيفى فى إحدى البلاد وكنت أعرف الكثيرين من شباب المخيم. وحين دخلنا المخيم في الموعد المحدد لم يستقبلنا أحد . وبعد انصراف الشباب من طابور الرياضة جاء بعضهم إلينا يمشى على حذر واستحياء، وتسبب ذلك في عقابهم من قائد المخيم حتى بعد أن أدينا الصلاة وتناولنا طعام الغداء وكل ذلك فى صمت ، حتي النظرات كانت محظورة ودُعيت للحديث، فتحدثت فى الموضوع المحدد دون أن أعلق على هذه الصورة وهذا المشهد الذى لم يصادفنى من قبل ، ثم انصرفت عائداً من حيث أتيت .

ولكنى خشيت أن يمضي هذا الحادث دون تعليق وتصحيح فينصبغ الشباب بهذه الصبغة المنافية لروح الدعوة وأدب الأخوة ، فانتهزت فرصة لقاء مع نفس المجموعة وقلت لهم .. إن ما حدث منكم في لقائى بكم فى المخيم أثارني وأحزننى ، فإن كان نظام المخيم عسكرياً بحتاً لا يسمح فيه بحسن الاستقبال للضيوف فإن النظام العسكري فى أوج سلطانه لا يغفل حق أى زائر فى حسن الاستقبال وخاصة إذا كان مدعواً ، فضلا عن أن هذا المخيم إسلامي لابد أن تتمثل فيه أخلاق وسلوك المسلمين . ورسولنا ﷺ يقول لنا : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**». رواه مسلم . وكنت أستطيع أن أجعل من حديثى الذى تحدثت به إليكم فى المخيم معاتباً فى هذا السلوك وموضحاً خطأ هذا الأسلوب .. ولكن كما علمتنى الدعوة أن لا أغضب لنفسى فأخرجت حظ نفسى من نفسى وتحملت هذا الموقف تأدباً مع المسؤول عن هذا المخيم. وكنت أستطيع أن أتحدث ولو تلميحاً ، ولكني آثرت الانضباط مع نظام المخيم ، فمهمتنا هى التربية والالتزام حتي فى النصيحة : «لتكن نصيحتك لأخيك تلميحاً لا توضيحاً تصحيحاً لا تجريحاً».

وقلت : أيها الإخوة ، إن أمثالى يأتون إليكم على سفر طويل وشاق على بعد آلاف الأميال يقطعونها، لقد جئتكم بشوق وعاطفة

جياشة بلا غرض دنيوى ولا مصلحة شخصية ، جئت أتطلع إلي رؤيتكم ، جئت كى أنظر إليكم. تلك النظرات هي متعة هذه الحياة الدنيا، هذه النظرات هي ثمن هذه الرحلات من جهد ومال، هذه النظرات التي سجلها رسول الله ﷺ فى أروع الكلمات : **«من نظر إلي أخيه نظرة ود غفر الله له»** والله تعالى توج هذه النظرات : **﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾** [الكهف : ٢٨] .. فكيف بكم أيها الإخوان تضنون بهذه النظرات وتحجبون هذه المغفرة من الله تعالى؟!

ألم تدركوا من سيرة رسول الله - ﷺ - قيمة النظرة ؟ تعالوا بنا إلى قصة كعب بن مالك، لقد كتب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (المقاطعة) من المسلمين ، فيقول كعب بن مالك رضى الله عنه : لقد أعرض عنا المؤمنون خمسين يوما حتي ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، **﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ﴾** [التوبة : ١١٨] وأما أنا فقد كنت أشد القوم وأجلدهم ! فكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو

في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرَّك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا ؟ ثم أجلس قريباً منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي ، أقبل إليَّ وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني.

قلت أيها الإخوة ، إنها كانت مقاطعة بأمر الله تعالى، ومع هذا كان رسولنا العظيم – الذي بعثه الله رحمة للعالمين – يقبل بالنظر إلى كعب بن مالك كما كان كعب يسارقه النظر . إنها مقاطعة للتأديب والتربية وليست مقاطعة جريمة وخصومة . **وإننا إذا فقدنا النظرة بهذا الشعور المبرور فقد فقدنا الحياة والنور** . ولقد استبشر المسلمون خيراً عندما أزاح رسول الله ﷺ الستر لينظر إليهم فى مرضه الأخير وهم يصلون، وقد تبسم ضاحكاً فظنوا البرء والسلامة وفرحوا حتى كادوا يخرجون من الصلاة فرحاً، ولم يظنوا أنها نظرات الوداع الأخيرة ، ورؤية البلاغ الكامل الذي اعتقد أنه قد أتم تبليغ الرسالة . .

وبعد أن تحدثت حول قيمة النظرة وأثرها وخطرها تساقطت الدموع وانسابت العواطف وتعانقت القلوب، ولم تمض أيام حتى تلقيت بعض الخطابات التى تأججت بالعواطف ، واكتشفت قيمة هذه الحواس ، ولقد كان لهذا الحادث أثره الكبير فى بعث هذه القدرات وبثها والاستعانة بها .

في عـام ١٩٤٣ اخـتـارنى الإخـوان نائبـاً لشـعـبـة حى رأس التين بالإسكندرية، وكان من نظام الشعبة أن يتولي نظافتها كل يوم أحد الإخـوان، وذات يوم كنت أقـوم بالنظافـة فـقـرع البـاب ، وكنت أصبحت على هيئة فرّاش الشعبة، وفوجئت بشاب فى السابعة عشرة من عـمره باسم الثـغر جـميل الصـورة. ألقى السـلام وقـال: أنا عـاوز اشترك في الجمعية..

رحبت به وأجلسته، وبعد أن أنهيت النظافة ونظمت الكراسي كتبت على السبورة عنوان المحاضرة واسم المحاضر وبعد صلاة المغرب أقبل الإخوان والمحاضر..

فـقـمت علي المنصة ورحبت بالحـاضرين ثم افـتـتحت اللقـاء وقدمت المحاضر. وانتهى اللقاء وبقيت صورتى المتناقضة في ضمير هذا الشاب تشغله. ومضت الأيام وهو دائم الحضور ، يأتي ومعه بعض أقاربه حتي استطاع أن يضم إلي الشعبة مجموعة شباب النادى الرياضى الذى هو عضو فيه.

أما أنا فقد تعلقت به روحى واستبد حبه بقلبى لأول مرة .. ولكن كيف التعبير عن هذا الشعور بالحب ولم يسبق فى مجتمعنا أن تعودناه ، إذ إن الحب حرام .. إن أى شاب يمكنه أن يبادل فتاة

إشارات وكلمات الحب عن بعد أو قرب، أما أن يبوح بذلك لشاب مثله فهذا شئ عجاب !!

وتمضي الأيام فى صمت وعذاب .. حتي قرأنا سيرة الرسول ﷺ فأشرقت بها قلوبنا وعشنا في أعماقها وتنفسنا عطرها وأريجها..

عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ ، فمر رجل به، فقال يا رسول الله إني لأحبّ هذا ، فقال له النبى ﷺ : « أأعلمته »؟ قال : لا . قال: « أعلمه » فقال: إنى أحبك في الله . قال: «أحبك الله الذى أحببتنى له».

قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب أسامة بن زيد». رواه البخارى.

وبهذه التوجيهات النبوية انفرجت أسارير وتفجرت عواطف وانطلقت الحواس تعلن عن نفسها ، تنشر عبيرها وتحقق ذاتها.

وأدركنا أن هذا الإسلام لا يسد نوافذ الحب ولا يغلق أبواب العاطفة، ولكن الإسلام يطهرها ويزكيها فيخرجها من دائرة الحب الجاهلى إلي ساحة ورياض « الحب فى الله تعالى ». وتعمل الأيام والسنون فى تدعيم هذا الحب فتفك إسار الألسنة بالإعلان عن هذه المشاعر بالزيارات والتعبير أو الكتابة.

نقلت من الإسكندرية إلي مدينة أسيوط على أثر قرار حل جماعة الإخوان المسلمون فى ديسمبر ١٩٤٨، وكنت وأنا في طريقى إلي عملى صباح كل يوم يواجهنى شاب فى طريقه إلي مدرسة أسيوط الثانوية . فشعرت نحو هذا الشاب بعاطفة من الحب، وذكرت ذلك رغبة فى اجتذابه للجماعة .. فتعجبوا من قولي وقالوا : إن هذا الشاب من عائلة كبيرة وغنية ووالده من أعيان أسيوط !!

فقلت لهم باستنكار: وهل لا يدخل جماعتنا إلا الغلابة (الدراويش) ؟! ألم يقل الرسول ﷺ : **«اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام»** ... فضحكوا وقالوا : وكيف الوصول إليه؟ قلت: هذا هو الكلام المفيد .

فلت : ليس من السهل على أى إنسان أن يتحرك إلي إنسان آخر بدون مبررات، فلا بد من التخطيط والاستعانة بوسيط متقارب ثقافة وسناً ، ورسمنا الخطة التي استغرقت ستة شهور، جاء بعدها الأخ الكريم، وانساب معنا وذاب فينا، ومضي فى الطريق بفضل الله وتوفيقه .

وهذا هو معنى (الدعوة إلى الله فن ، والصبر عليها جهاد) .

ذهبت لزيارة أحد فضلاء الإخوان ، وفى حجرة الإستقبال دخل علينا ابنه وهو طالب في الثانوية يحمل لنا التحية ، فلما تقدم نحوي نظرت إليه مبتسماً وتحدثت إليه بكلمات قليلة مقطرة ومعطرة ، حتى يبقى أريجها في حسه والذاكرة . ولما خرج أحس والده أن أمراً قد حدث ؟

فقال لى : يا أخ عباس أرجو أن لا تأخذ (...) للإخوان حتى ينتهي من المرحلة الثانوية ، ثم فى الإجازة يكون عنده وقت فراغ .

فقلت له : هذه أول مرة أري فيها (...) ولسوف ننتظره حتى يوفقه الله فى الثانوية العامة .

ولكن الكلمات التي سمعها الأخ (...) أشعلته وأرقته ، فلم تمض أيام حتى جاء إلينا يحمل قلباً زكياً وروحاً فتية ، وتوطدت بيني وبينه علاقات الأخوة والحب فى الله حتي زارنى هو ووالده فى رشيد .

أفشوا السلام بينكم

السلام اسم من اسماء الله تعالى . فإلقاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف ، يبعث الأمن ويبسط الرحمة ويوطد العلاقات ويورث الحب .

فرسول الله ﷺ ذكّرنا بذلك وأوصانا به .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم»** رواه مسلم.

وبهذا وضع الرسول ﷺ أيدينا على مفتاح الخير ، فالنطق بالسلام حال إلقائه أو الرد عليه يعطي صورة عن قرب هذا الإنسان أو بعده من الالتزام بروح الإسلام والسنة النبوية .

فهناك فرق بين من يقول (سلامو عليكو) فيرد عليه الآخر (سلام) .. ومن يقول: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فيرد الآخر (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) . وبعض الناس تلقى

عليهم (السلام عليكم) فيردون عليك (صباح الخير) أو (أهلاً وسهلا) أو (يعطيكم العافية) أو (عوافي) .

نستطيع من خلال إلقاء السلام والرد عليه تمييز الناس والتعرف عليهم وتحديد اتجاهاتهم ومبلغ التزامهم ..

بعض الناس يلقون السلام، كأنه بلاغ عسكرى!

مع أن إلقاء السلام تحية ، وكلمات السلام اللفظية عاطرة ندية ، فهي : السلام ، والرحمة ، والبركة ..

لهذا كان إلقاء السلام لا بد أن ينبعث من تذوق واستشعار لمعانيه السامية ، فالغرض من التعارف هو تأليف القلوب ، ولابد أن تنطلق الكلمات مشبعة بروح المودة والإيناس.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»** رواه مسلم.

ورد السلام على من ألقى إليك السلام واجب، وبقدر وعيك وفهمك تستطيع أن تأسره إذا رددت التحية بأحسن منها حين ترد عليه وأنت متهلل الوجه باسم الثغر، متجها إليه بكل وجهك ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء : ٨٦] ومن الأمثلة

الشعبية (لاقيني ولا تغدينى) .

وإلقاء السلام ليس وقفاً على من تعرف فحسب، إنما إلقاء السلام الزمُ على من لا تعرف لزيادة رقعة التعارف والمحبة والتعاون .

عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أي الإسلام خير؟ قال : «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» متفق عليه .

ولقد كان صحابة رسول الله ﷺ أفقه لهذا المعني وأدرك لمراميه، فجمعوا بذلك القلوب على الله تعالى فى مودة ومحبة نادرة المثال .

فعن الطفيل بن أبى كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلي السوق قال : فإذا غدونا إلي السوق لم يمر عبد الله على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا احد إلا سلم عليه ، قال الطفيل : فجئت عبد الله بن عمر يوماً فاستبقني إلى السوق، فقلت له : ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف علي البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس إلي مجالس السوق ؟ اجلس بنا هنا نتحدث. فقال : يا أبا بطن - كنية الطفيل - «إنما نغدو من أجل السلام، فنسلم على من لقينا» رواه مالك فى الموطأ بإسناد صحيح .

هذا وإلقاء السلام فى بلد لا تعرف فيه أحداً ، تستوحش منه وتخاف ، تلتمس فيه الصاحب والمعين .. امر يعطيك الامان ويرطب لك القلوب ، وقديماً نسمع (لولا سلامك سبق كلامك لأكلت لحمك قبل عظامك) .

كما علمنا من آداب الإسلام، فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **يسلم الراكب على الماشي ..**

والماشى على القاعد ..

والقليل على الكثير ..

والصغير على الكبير ..

وفضل السابق فى إلقاء السلام عظيم .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه قيل: يا رسول الله ، الرجلان يلتقيان، أيهما يبدأ بالسلام؟

قال: **«أولاهما بالله تعالى»** .

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : **«السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض فأفشوه بينكم»** رواه البخارى.

من توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ثلاث يصفين لك ود أخيك :

١ - أن تبداه بالسلام .

٢ - وأن تناديه بأحب الأسماء إليه .

٣ - وأن تفسح له في المجلس .

ما أجمل وما أحلى (كلمة يصفين) فهو تعبير لطيف يزيل تلك الشوائب التي تعوق تلاحم القلوب وتعانق الأرواح .

١ - أن تبدأه بالسلام :

إذا رأيت شخصاً تريد أن تتعرف عليه ، فالمطلوب أن تبدأه بالسلام ، فإنها لفتة لها أثرها في نفسه ، كما أن صاحب السبق له فضل يدخر له بعد ذلك .

أحياناً يتعرف الإنسان على أخ جديد، ثم تمضى الأيام ويلتقيان كل منهما على رصيف ، فواجبك أن تسعى إليه من قبل وجهه وتلقى عليه السلام .فإذا أنت قصرت في ذلك فقد تضيع الفرصة ويتميع الموقف ويضيع أثر اللقاء الأول ، فإن اللقاء الثاني يدعم اللقاء الأول « وخيركم من يبدأ بالسلام» .

٢ - وأن تناديه بأحب الأسماء إليه :

فى هذا العصر تكثر أسماء عجيبة وشاذة غير مقبولة عقلا ولا عرفا، ولولا أنى أخشى الاتهام بالتعريض بها لذكرت العشرات منها، وكثير من هؤلاء لا يقبلون غيرها ولا يحاولون التخلص منها، بل بالعكس إنهم يعتزون بها .

وإذا أراد الإنسان أن ينادى أحدهم باسمه ولقبه هذا فإنه يجد فى نفسه حرجاً شديدا .

ولما كنا نتأدب بأدب الرسول ﷺ فقد أصبح لزاماً علينا أن ننادى كل إنسان بأحب الأسماء إليه ، فإن ذلك يقرب القلوب ويرطب النفوس .

رأيت بعض الإخوة ينادون من هو أكبر منهم سنا ومقاماً باسمه مجرداً من صفته ويعتبرون ذلك من روح المودة والأخوة ، فتسمع الطالب فى الجامعة ينادى أستاذه بالأخ فلان ، وترى بعض الأخوة يقدمون الخطباء والمحاضرين بأسمائهم مجردة من صفتهم إمعاناً فى التجرد من الرياء والسمعة ، مع أن هذه الصفات حق طبيعي لهم لم يختلقوه ولم يدّعوه . وكيف يتعرف الناس على محاضرهم والأسماء المتشابهة كثيرة .. وأين ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾

[هود : ٨٥] « وأنزلوا الناس منازلهم » ؟

وفى بعض البلاد ينادون بعضهم البعض بالكنية : يا أبا محمد، يا أبا حسين ، لعل ذلك أرطب للنفس وأحب إلي القلب، وخروج من الحرج.

٣ - وأن تفسح له فى المجلس :

من الأمور والمواقف ما لا يستطاع تصوره إلا إذا وقع الإنسان فيه، فتصور نفسك مدعوا إلي حفل أو ذهبت إلى عزاء ، وحين دخلت المكان لم تجد مكاناً يتسع لإنسان ، لا شك أن الإنسان سيحدث عنده ارتباك وخجل شديد ، فإذا قام أحدهم من مكانه ، وأسرع يدعوك للجلوس ، فإن فى ذلك إنقاذا وصون كرامة . ومثل هذا الإنسان لا ينسى فضله .

وكثيراً ما يدخل الإنسان المسجد - وخاصة فى صلاة الجمعة - ويحاول أن يجد له فسحة بين المصلين فتتناوله الأنظار بالاستنكار حتى يتعاطف معه من يعيش مع قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [المجادلة : ١١] .

ومـا زلت أتذوق طعم هذا الموقف العظيم فـيـمـا يحـدثنا بـه الصـحـابى الجليل كـعـب بن مـالك رضى الله عنه ، وهو أحـد الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، قـال كـعـب بن مالك : «بعد أن كـمل لنا خمسون ليلة من حين نهي رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، ثـم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التى ذكر الله ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت عليَّ نفسى . وقد كنت ابتنيت خيمة في ظهر سلع ، فكنت أكون فيها، إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر، قال : فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء الفـرج . قـال: وأذن رسـول الله ﷺ للناس بتـوبة من الله علينا حين صلى الفـجـر ، فـذهب الناس يبـشـروننا ، وذهب نحـو صـاحـبى مـبـشرون ، وركض رجل إليَّ فـرسـا، وسعي ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذى سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبى فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ ، تلقانى الناس يبشروننى بالتوبة ويقولون : لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله فحياني وهنأني ، ووالله ما قام

إليَّ رجل من المهاجرين غيره ، فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة» .

وهكذا ، وبهذه اللفتة الطيبة من طلحة بن عبيد الله ، بقيت ذكراه حية في قلب كعب بن مالك رضى الله عنهما جميعاً .

وهذا رسول الله ﷺ يعطينا درساً كبيراً لما دخل رسول الله ﷺ مكة المكرمة ، ودخل المسجد الحرام ، أتى أبو بكر بأبيه أبى قحافة يقوده ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « **هلا تركت الشيخ في بيته حتي أكون أنا آتيه فيه** » قال أبو بكر : يارسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشي إليه أنت . قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح على صدره ثم قال له : « **أسلم ، فأسلم** » .

ولقد أدبنا رسول الله ﷺ فقال :

« **ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقى إليه وسادة إكراماً له إلا غفر له** » رواه الحاكم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا**» (وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه) متفق عليه .

بال أعرابى فى المسجد

بال اعرابى فى المسجد، فقام الناس ليقعوا فيه، فقال النبى ﷺ : « دعوه، وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوبًا من ماء.. فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» رواه البخارى.

هذا الحديث، او هذا المشهد المثير، من الدروس الكبيرة الخطيرة التى تستاهل التبصر من كل من يتصدى للدعوة إلى الله تعالى، وأن يجعله دائمًا بين ناظريه.

بال اعرابى فى المسجد، وقد كانت المساجد في عهد الرسول ﷺ وإلى عهد ليس ببعيد تفرش بالحصباء.. مشهد رجل يبول فى المسجد مشهد مثير للغضب، مما استفزّ صحابة رسول الله ﷺ..

فقال: دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء، لأن هذا الصنيع لا يقوم به إلا رجل قريب عهد بالإسلام، فهو فى حاجة إلى أن يتعلم ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٩٤].

واريقوا عليه سجلاً من ماء.. أسرع الرسول ﷺ فقدّم الحل الذى أصبح حكمًا فقهيًا لعلاج هذه القضية، دون غضب أو إساءة إلى

رجل بل تعطّفَ عليه وأزالَ كربته.

ثم عقّب رسول الله ﷺ فقال:

«فإنما بُعِثتم ميسّرين ولم تُبعثوا معسرين» وكأنه يقول لكل مسلم إنك مبعوث ومكلّف بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

إن مهمة الأخ الداعية الأساسية وهدفه الحقيقى هو هذا الإنسان، فكيف بك تغضبه وتؤذيه من حيث تريد أن تدعوه وتهديه.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وبعد هذا التوجيه النبوى العظيم فى هذا الحادث الذى لا يكون أشدّ منه ولا أعجب، نرى من شبابنا العجب العجاب فى مواجهة الناس فيما هو أقل من هذه الصورة بكثير. فتأخذهم الحمية ويلفّهم الغضب والتشنج إذا وقع أمامهم ما يخالف سنّة أو يتعارض مع رأى مرجوح أو غير مرجوح.

* فهو شاب يدخل المسجد وفى رقبته سلسلة ذهبية، ما كاد ينتهى من صلاته حتى يتسابق إليه مَن ينهاه وينذره ويكاد يخرجه

من المسجد .

ولو فَقِه هؤلاء الشباب وعرفوا رسالتهم لعلموا أن هذا الشاب قد جاءهم من المسارح والملاهى منيبًا إلى الله تعالى، فكان الأولى بهم أن يفرحوا به ويستقبلوه أحسن استقبال . إنه عضو جديد ورصيد جديد ، لو كانوا يعلمون !!

* رأينا فيما كان من الزمان ولعلّه كائن للآن . . كيف أن الناس يطردون الأطفال ويمنعونهم من الصلاة فى المساجد، ويتعللون بأن الأطفال يعبثون بالماء (ويحدثون الضوضاء) . . . وما علم هؤلاء الناس أنهم بذلك يقطعون صلة الأطفال بمنابع هذا الدين، ويعطلون نموّهم الفكرى والعقلى عن التنشئة والتربية الإسلامية فى أخصب فترة من حياتهم، فمَن شبَّ على شىء شابَّ عليه . . فإذا نحن طردناهم من المساجد فسوف نسلمهم إلى الشوارع والضياع حيث تلتهمهم المبادئ المنحرفة والآفات والمنكرات .

لقد كان نظام « مدارس الجمعة » الذى يقوم على تنشئة الأطفال فى شعب الإخوان المسلمون على منهج تربوى من أعظم مصادر هذا الجيل، فما زلت أذكر بالحمد والإعجاب فى قسم مدارس الجمعة بالإسكندرية تلميذاً فى التاسعة من عمره عام ١٩٥١ ، وحن قبض

علينا فى محنة عام ١٩٦٥ بالسجن الحربى وجدته متهمًا معنا فى نفس القضية، وحكم عليه بخمسة عشر عامًا.

* وفى مسجد السلام بالإسكندرية، وفى شهر رمضان المبارك، وفى أيام الاعتكاف، دخل المسجد شابان فى أبهى حلّة وأجمل صورة، وفى رقبة كلٍّ منهما سلسلة من الذهب صلّيا معنا القيام الذى استمر حوالى ساعتين فى صبر وتحمّل، وبعد الصلاة اقتربت منهما ورحبت بهما أنا ومَن معى من الإخوة، وأشعرناهما بكل تجلّة واحترام، وعرفنا أنهما طالبان فى جامعة القاهرة جاءا فى عطلة الصيف للسياحة. وواظبا على الصلاة حتى صلّيا معنا العيد فى ملعب جامعة الإسكندرية، وعاشا مع هذه الجموع الهائلة فى سعادة غامرة. ولم تمض مدة من الزمن حتى وجدناهما قد خلعا تلك السلاسل الذهبية دون إحراج أو إزعاج قد ينفرانهما فلا يعودان إلى المسجد بعد ذلك.

والذى يجب أن ندركه من واقع الحياة التى نعيش فيها أن شابا قبل أن يأتى إلى المسجد كان يعيش فى لهو ولعب وصخب وضحك مع أمثاله، فإذا فتح الله عليه وجاء إلى المسجد وقوبل بالهجوم والوجوم والكآبة فإنه سوف تحدّثه نفسه بأن يعود من حيث أتى، ويحمل وزر هذا الإنسان مَن كان السبب فى هذا الحرمان.

وكثيراً ما تكون كلمة (حرمًا) بعد الصلاة من المداخل التى يمكن الاستفادة بها فى التعارف بدلاً من أن تكون سببًا فى إحراج الذى يقولها عادة وبحسن نيّة، فيواجه بالنقد الشديد، وقد يحدث هذا النقد من شاب صغير لشيخ كبير بلا تقدير ولا مبالاة.

فلقد جعلت الصلاة فى المسجد جماعة للتعارف وتوحيد صفوف المسلمين. فإذا لم تنتج هذه الصلاة تلك المحبة والوحدة فما هو الفرق بينها وبين صلاة الفرد وحده أو فى بيته، ورسول الله ﷺ قال: « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ».

* دعيت لحضور مؤتمر الشباب المسلم العربى فى أمريكا عام ١٩٨١، وحضر هذا المؤتمر أربعة آلاف من الشباب الجامعى استأجروا جميع فندق هيلتون، وحوالى ألف من الأخوات المسلمات وأطفالهنّ واستأجرن فندقًا آخر، كما استأجر الشباب صالة للمحاضرات ضخمة بجوار الفنادق، وزوّدت الصالة بأحدث أنواع التسجيل التليفزيونى وخلافه، فضلاً عن النظام والحراسة.

وفيما أنا مستغرق فى الماضى يوم كنّا نعيش فى (الشعبة) على حصيرة و(لمبة جاز).. ويوم قامت هذه الدعوة فى الاسماعيلية على

ستة من العمال، ويوم ذهبت إلى اليمن وسألت الإخوان كيف بدأتم هذه الدعوة قالوا: كنا نمشى على أقدامنا المسافات الطويلة كى نبلّغ دعوة الله، فلما أعطانا الله قرشين اشترينا بها (حماراً) أسميناه «حمار الدعوة»! كنت أستغرق فى هذا الماضى، ثم أرانى اليوم فى هذا المؤتمر وأسمع تلك الهتافات الإسلامية، وشعارات الإخوان، كل ذلك فى قلب أمريكا، ومن شباب مشقف تبرع فى لحظات للمجاهدين المسلمين فى كل مكان بربع مليون دولار.

فى هذه اللحظات التى تترقرق فيها دموعى، كانت فى يدى مسبحة، فإذا طالب من خلفى يقول لى: يا عمى الحاج، فالتفتُّ إليه، قال لى: هذه المسبحة (بدعة).. فنظرت إليه وكأنى أستيقظ من النوم وقلت له:

«يا أخى.. إحنا قاعدين فى أمريكا أمّ البدع».. واستغفرت الله تعالى وأنَبْتُ.

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يدعو إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة، سأل يوماً عن رجل يعرفه، فقالوا له: [إنه خارج المدينة يتابع الشراب.. فكتب له عمر يقول: إننى أحمد إليك الله الذى لا إله غيره، غافر الذنب وقابل التوْب شديد العقاب. فلم يزل

الرجل يردّد كتاب عمر وهو يبكي.. حتى صحّت توبته. ولما بلغ عمر قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاكم زلّ زلّة فسدّدوه ووفّقوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه.

المصافحة

قيل لأبى ذر رضى الله عنه:

هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه؟

قال: ما لقيته قطّ إلا صافحنى، وبعث إلىّ ذات يوم، ولم أكن فى أهلى، فلما جئت أُخبرت، فأتيته وهو على سرير، فالتزمنى.. فكانت تلك أجود وأجود. رواه أحمد وأبو داود.

المصافحة ليست حركة شكلية أو تقليدية، بل هى حركة لها أبعاد نفسية وحسيّة تختلف باختلاف العلاقات والنيّة، لهذا نهى الإسلام الرجل عن مصافحة المرأة الأجنبية.

فاليد بأصابعها جهاز حسّاس يستقبل ويرسل إشارات تظهر على صفحة الوجه وشاشة القلب.

المصافحة باليد عميقة الدلالة على تحديد المسافات بين القلوب، فمنهم من يصافحك مجاملة، ومنهم مَن يصافحك خطفًا أو لمسًا، ومنهم مَن يصافحك ووجهه ذات اليمين أو ذات الشمال. ومنهم مَن يشدُّ على يديك وعيناه فى عينيك حتى لترى صورتك فى

إنسان عينه وإشراقة وجهه.

إن مصافحة القلوب تتساقط من بينها الذنوب. فعن البراء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»**.

لقد كان رسول الله ﷺ إذا صافح إنسانًا لم يخلع يده من يده حتى يخلعها هو، ترطيبًا لنفسه وتعليمًا لنا.

وفى السيرة عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: **«يا معاذ والله إنى لأحبك. أوصيك يا معاذ، لا تدعنَّ فى دُبرُ كل صلاة أن تقول: اللهمّ أعنِّى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»** رواه أبو داود.

لقد سجل راوى هذا الحديث أن رسول الله ﷺ (**أخذ بيد معاذ بن جبل**) مع أنه كان من الممكن أن تمر هذه الملاحظة.. ولكن الصحابة رضوان الله عليهم يدركون قيمة هذه الحركة ومعناها، لهذا سجلوها، لأن لها مدلولاً يتّسق مع ما جاء بعد ذلك من قول رسول الله ﷺ لمعاذ: «والله إنى لأحبك».

والذى يتعمق فى قول رسول الله ﷺ حين قال: يا معاذ والله إنى لأحبك، لقد بلغ معاذ بن حبل رضى الله عنه ما يشرئب إليه عنق

كل مسلم، تطبيقًا لقول رسولنا عليه الصلاة والسلام: «المرء مع مَن أحبّ».

إن تشابك الأيدى لا يتم إلا بين قلبين متحابين، فلن تتقدم يد إلى أخرى بحركة عفوية، وإنما تكون بحركة موجهة من القلب والعقل معًا. ولا تنسَ ولا تفرّط حين تضع يدك على كتف مَن تحب، فإنها لمسات معبّرة ومؤثرة، ولن تكون إلا بين قلوب متحابة، ومنها تستطيع أن تدرك قيمة العلاقات بين الناس.

وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت:

قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ فى بيتى، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه النبى ﷺ يجرّ ثوبه فاعتنقه وقبله. رواه الترمذى وقال حديث حسن.

وفى حديث آخر قال: قال رجل يا رسول الله، الرجل منّا يلقى أخاه أو صديقه، أينحنى له؟ قال: «لا». [أفيلتزمه ويقبله؟ قال: «لا».

فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: «نعم». رواه الترمذى وقال حديث حسن.

صلْ من قطعك وأطعم مَن حرمك
واعفُ عمّن ظلمك

[حديث شريف]

الداعية المسلم المؤمن الشجاع المتجرد الذى أخرج حظ نفسه من نفسه. الداعية الذى يريد أن يجمع المسلمين ويؤلّف بين قلوبهم ليقيم صرح الإسلام ودولته.. ذلك الداعية هو الذى يقوم على تطبيق توجيه الرسول ﷺ فإنه ليس من السهولة على إنسان هذا العصر الذى تأخذه العزّة بالإثم أن يتنازل عن كبريائه وغروره ليسعى إلى إنسان ظلمه أو أساء إليه ليصافحه ويسامحه.

ولكن المسلم الذى له هدف يفقه قول الله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] فهو يتوسل بكل وسيلة، ويدفع بالتى هى أحسن فى سبيل إنقاذ أخيه المسلم، ولو كان ذلك على حساب ما يسمّونه كرامته الشخصية. فالحق أن كرامة المسلم دائمًا تكون فى عقيدته وإيمانه ونبل غايته وشرف مقصده.

والداعية الذى يذل نفسه لأخيه المسلم، ويخفض له جناح الذل

من الرحمة، إنما يقصد بذلك ثواب الله تعالى ومرضاته.

والداعية حين يفعل ذلك يحسّ بالارتقاء الروحى وسعادة الانتصار على نفسه، وتكون المحصلة الوصول إلى قلب مَنْ تدعوه، و« لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم ».

* يقول الأستاذ عمر التلمسانى فى مذكراته التى نشرتها جريدة الشرق الأوسط:

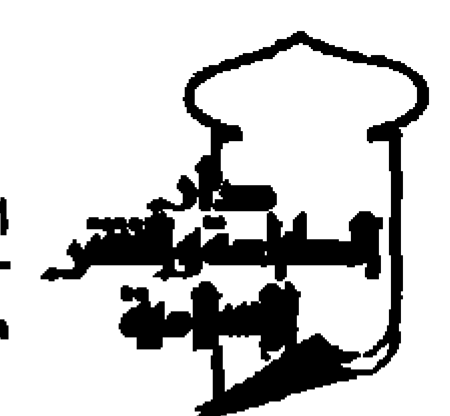
كان من بدء خطواتى العملية فى جماعة الإخوان أننى سافرت إلى بلد اسمها دمهوج مركز قويسنا، مديرية المنوفيّة، ومعى أخ اسمه عزّت أبو المعاطى لإجراء صلح بين عائلتين كبيرتين هناك. إحدى العائلتين من الإخوان، والأخرى ليست إخوانية. وبعد استعراض مسبّبات الخصام وأحداثه تبين بشكل قاطع أن الحق إلى جانب العائلة الإخوانية. وهنا أردت أن أضرب لأهل القرية مثلا عمليًا - حسب توجيهات فضيلة المرشد - فطلبت من العائلة الإخوانية التنازل عن كل حقوقها إزاء العائلة الأخرى، وأن يذهب رؤوس العائلة الإخوانية لزيارة العائلة فى منازلهم ليتعلم الناس كيف يعالج الإسلام الخصومات بين الناس ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

وهكذا إذا توفرت عند الأخ المسلم القناعة والإيمان بعظمة هذه الدعوة، فإن ذلك سوف يحمله على أن يقوم بنشاط فكرى وعقلى وحركى وأن يستخدم القوى الفاعلة الواعية فيما وهبه الله تعالى من خصائص روحية وحسيّة غالية ونادرة ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] إن هناك سُننًا ولمحات وأخلاقًا من نفحات القلب والروح قد تلاشت وفقدت وجودها وروحها فى هذا المجتمع الذى مسخته الحضارة الغربية عن عمد وإصرار. علينا أن نكشف عنها بما يحمله المسلم من طاقات ذاتية، وإبداع متدفق يفجّر طاقات الفطر ويستخرج كنوزها. لقد قضى رسول الله ﷺ حياته كلها فى الكشف عن مذخور النفس البشرية، والطاقات الروحية التى تسمو بها البشرية لتكون خير أمة أُخرجت للناس. فكان عليه الصلاة والسلام يقابل السيئة بالحسنة، والأعاصير والفتن والمحن بالسكينة والنفس المطمئنة، والإيذاء بالصفح والدعاء « اللهمّ اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون ».

الفهرس

رقم الإيداع : ١٠٢٦٧ / ١٩٩٥ م

الترقيم الدولي
I . S . B . N . 977 - 5214 - 08 - 4



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٢٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

هذا الكتاب

إن مهمتنا إيقاظ الشعب المسلم الذى نام طويلا، ونحن فى حاجة إلى هزة روحية جبارة لتحريك وعى عقله الذى نام لفترة، وضميره الذى تحلل من أثر عوامل الظلم والقهر.

وطالما أن أعداء الإسلام فى الشرق والغرب يحاصرون أهل الإسلام فى كل مكان، فإنه أمام إصرار الدعاة على الانتصار لدينهم الذى هو الحياة.. كل الحياة، فليس هناك من وسيلة متاحة أمامنا إلا أن نسلك سبيل الدعوة الفردية، بالصبر المرير وبالحكمة والموعظة الحسنة، وهو السبيل الذى يعمل عمل قطرات الماء الذى يحفر فى الصخر، حتى تتفجر ينابيع تسقى الأرض، وتنبت الزرع، وتعبّد الحياة وترفع راية لا إله إلا ...

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

عبا...



٨ ميـدان السيـدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٥٧٢ ... ٣٩٠٠ ص ب ...